الانتصار للقرآن
إسهام في التعميد

بحث مقدم
للمؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

إعداد
أ.د. أحمد بوعود
الانتصار للقرآن
إسهام في التقعيد

بحث مقدم
للمؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية
6/4/1434 هـ ـ 2/12/2013 م

إعداد
أ.د. أحمد بوعود
سبحان الله الرحمن الرحيم
السيرة الذاتية

الاسم: أحمد بوعود

الوظيفة: أستاذ الفلسفة والفكر الإسلامي بجامعة تطوان-المغرب

المؤهلات العلمية:

- دكتوراه في الفلسفة، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ظهر المهراز فاس، بحث موضوع: الهرمينويتبطي ونص القرآن. مقارنة تأويلية مقارنة لمفهوم الإنسان في القرآن الكريم.
- دكتوراه في الدراسات الإسلامية، جامعة عبد المالك السعدي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تطوان، بحث موضوع: علوم القرآن في المنظور الحداثي. دراسة تحليلية وتقنية.
- دبلوم الدراسات العليا المعمقة في الدراسات الإسلامية، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب سايس فاس، بحث موضوع: تحليل النص القرآني عند محمد أركون. دراسة وصفية وتقنية.
- الإجازة العليا في أصول الدين، جامعة الجزائر.

العضوية في الهيئات العلمية والأكاديمية:

- عضو هيئة التحكيم بمجلة الجامعة، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر.
- عضو فريق الإشراف على ملتقى الانتصار للقرآن الكريم التابع لمركز تفسير للدراسات القرآنية بالرياض.
الكتب المنشورة:

١- مقاصد الشريعة من النظر إلى السلوك، دار السلام، القاهرة 2011.

٢- ظاهرة القرآن عند محمد آركون، تحليل ونبذ، منشورات الزمن، سلسلة شرقات، الرباط، سال 2010.

٣- Muhammad Prophet for Our Time: An Evaluative Study of Karen Armstrong’s Point of View، Dar Alsalam، Cairo 2010.

٤- ظاهرة التطرف من معالجة الآثار إلى دراسة الأسباب، بالاشتراك مع مجموعة من المفكرين والكتاب، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، الدوحة، 2007.

٥- الإجهاد بين حقائق التاريخ ومتطلبات الواقع، دار السلام، القاهرة 2005.

٦- رسالة المسلم في حقبة العولمة، بالاشتراك، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، الدوحة، 2003.

٧- فقه الواقع أصول وضوابط، سلسلة كتاب الأمة، عام 2000، دار السلام، القاهرة 2006.

كتب قيد الطبع:

١- علوم القرآن في المنظور الحداثي، دراسة تحليلية نقدية لأراء الحداثيين حول القرآن الكريم (دار الكتاب الجديد بيروت).

٢- مفهوم الجاهلية وعلاقته بالتكفير، دراسة تقوعية (دار السلام القاهرة).
المؤتمرات والندوات:
شارك في مجموعة من الندوات والمؤتمرات في مجالات الدراسات القرآنية والشرعية والفكرية بكل من المغرب وتونس والسعودية وعمان وماليزيا وتركيا وبريطانيا.
ملخص البحث

قدص هذا البحث إلى الإجابة عن الأسئلة التالية: ما مشروعية علم الانتشار للقرآن وما مقاصده وما مجالاته وما موضوعاته وما منهجه وما أدوته؟

وذلك من خلال:

- مقدمة بين أهمية الموضوع وقيمته وعناصر الجدة فيه والمنهج المتع.
- المبحث الأول: مشروعية علم الانتشار للقرآن ومقاشه.
- المبحث الثاني: مجالات علم الانتشار للقرآن وموضوعاته.
- المبحث الثالث: منهج علم الانتشار للقرآن أدوته.
- خاتمة تتضمن أهم النتائج والنصوص.

وقد استعان الباحث بمنهج ذي بديعين: وصفي وتحليلي.

وهكذا بين البحث أن الانتشار للقرآن الكريم ليس بالشيء الغريب عن الدراسات القرآنية، رغم أنه لم يُسم علمًا. وأول ما يمكن الاعتماد عليه في التأصيل لهذا العلم هو القرآن الكريم نفسه. كما أن الانتشار للقرآن كان له نصيب مهم في علم الكلام، حتى إن الباقلاني - رحمه الله - ألف كتابًا في الرد على الطاعنين في القرآن سماه: الانتشار للقرآن.

كما أوضح البحث أيضًا أن واقع الدراسات القرآنية المعاصرة يؤكد الحاجة إلى قيام علم الانتشار للقرآن تكون غاية رد شبهات الدارسين عن القرآن الكريم. فقد كثرت دراساتهم اليوم وتناولت. وهنا يمكن أن نتحدث أيضاً عن الاستشراق بمختلف توجهاته. كما يمكن أن نتحدث أيضاً عن دراسات المفكرين الحديثين المسلمين حول القرآن وقضاياها. كما لا يمكن
أن نغفل، تبعاً لذلك، ما ورث المسلمون من تراث فكري بحاجة إلى نقد وتمحيص حتى لا يكون تكأة لكل مغرض.

وقد أجمل البحث مجالات علم الانتصار للقرآن في ثلاثة هي: مجال التراث، وملاح الاستشراق، ومجال الدراسات الفكرية الحداثية. وتجدر الإشارة إلى أن المجالين الأخيرين يأخذان عن المجال الأول. كما أكد أن أساس علم الانتصار للقرآن هو نقد الشهادات والتعاون حول القرآن المنانية لربانيته و قدسيته، لذا فإن منهج علم الانتصار هو المنهج النقدي. وللوغ هذا النقد لا بد من خطوتين رئيسيتين هما الوصف والتحليل. و بما أن لكل علم أدواته، لا بد للانتصار للقرآن من أدوات تختلف باختلاف مجال الدراسة.

وقد عرض البحث مجموعة من الأدوات المرتبطة بكل مجال من المجالات الثلاثة.
المقدمة

إن استقراء الواقع الفكري المعاصر يفيد أن هناك كثيرًا من الشبه المثارة حول القرآن الكريم من قبل المستشرقين والمبشرين قصد الطعن في الإسلام، يتلقفها الإنسان في الغرب والشرق فتضله عن الحق. كما أن كثيرًا من المفكرين الحداثيين المتسين للإسلام يروجون هذه الشبه بدعوى الحداثة، تقليداً للغرب، عن وعي بخضورتها أو عن غيبري. وتصورهم هذا يركز على الحداثة الغربية، كما يركز على الدراسات الاستشراقة وكتب التراث، (تراث علم القرآن تراث علم الكلام....) حيث هناك كثير من الأقوال الشاذة تناق قداسة القرآن الكريم. وهذا يضعنا أمام قضية مسألة التراث وتنهده وتقويمه...

هذا، وقد عرف الفكر الإسلامي صنفاً علميًّا رفيع المستوى، سمي بعلم الكلام، كان الغرض منه الدفاع عن العقائد الإسلامية، وضمنه نوقشت قضايا من قبل خلق القرآن، وطبيعة كلام الله وغير ذلك. وكان من جملة من تحدثوا عن هذه القضايا العقدية المرتبطة بالقرآن الكريم وفصلوا فيها القول، مدافعين ومنافحين، المتكلم أبو بكر الطيب الباقلاني في كتابه الانتصار للقرآن.

واليوم تدعو الضرورة إلى قيام علم الانتصار للقرآن، وتأصيله وتبعيده، خاصة وأننا في واقع كثير فيه الهجوم على القرآن من الغريب والقريب وأهل الدار. وتكون غاية هذا العلم هي التصدي لهاته الشبهات والطعن بمنهج علمي شديد وأدوات علمية تسلح بها الباحثون.

من هنا نتساءل: ما مشروعية علم الانتصار للقرآن وما مقصده وما مجالاته وما موضوعاته وما منهجه وما أدواته؟ وما
الانتصار للقرآن .. إسهام في التفهيم

هذا ما يروه البحث الإجابة عنه من خلال:
- مقدمة: تبين أهمية الموضوع وقيمته وعناصر الجدة فيه والمنهج المتبع.
- المبحث الأول: مشروعية علم الانتصار للقرآن ومقاشه.
- المبحث الثاني: مجالات علم الانتصار للقرآن وموضوعاته.
- المبحث الثالث: منهج علم الانتصار للقرآن وأدواته.
- خاتمة: تبين أهم النتائج المتحصل إليها والتوصيات المستخلصة.

وتبدو الإشارة إلى أن تناول موضوع هذا البحث سيكون بمثابة ذي

بعدين:

- بعد وصفي، حيث سيصف الباحث كل ما يرتبط بهذا العلم حسب
  موضوعات البحث.

بعد تحليلي، ويقوم أساساً على التفسير والشرح، وذلك بِغية بناء
 بصورة عام مقنع لعلم الانتصار للقرآن الكريم، من حيث مشروعته
ومقاشه ومجالاته وموضوعاته ومنهجه وأدواته.

والله المستعان.
المبحث الأول:
مشروعية علم الانتصار للقرآن ومقاشه

يكتسب علم الانتصار للقرآن مشروعية من مقاسده ومنما يحققه من ثمار خدمة للقرآن الكريم ولدين الله ﷺ. وإذا كان "الانتشار للقرآن هو التصدي للطاعتين فيه ودحض شبهاتهم بأدوات الوقت"(1)، فإن لذلك أصولاً في القرآن الكريم والسنة النبوية وتاريخ الفكر الإسلامي، وتحديداً علم الكلام. من هنا، فإن الحديث عن مشروعية الانتشار للقرآن الكريم يقتضي الحديث عن الانتشار للقرآن من خلال القرآن نفسه، ومن خلال علم الكلام، وكذلك من خلال الواقع الفكري المعاصر.

1 - مشروعة الانتشار من خلال القرآن

 تعرض القرآن الكريم للطعن والتذكير منذ نزوله على نبياً محمد ﷺ. ورغم أن الله ﷺ قد تكفل بحفظه إلى يوم الدين، فإنه كانت تنزل آيات تطمئن المؤمنين وترد على شبهات الكفار والمشكرين، من جهة، وتقصده إلى إقناع الضالين وهدية التائبين من جهة أخرى.

 لقد ادعى الكفار والمشكرون أن القرآن مجرد أساطير، تكذيباً وعناداً. وقد حكى القرآن عن تكذيبهم وعنادهم في أكثر من موضع، ففقد أطرافاتهم هاته، منها قوله تعالى: "إِنِّي أَرْضَيْتُهُمْ مَا ذَيَّلَ يُخْرِجُهُمْ قَالُواَ" (1)

(1) هذا هو مقتترح الباحث لتعريف علم الانتشار للقرآن.
النصر للقرآن .. إسهام في التفهيم

لا يُحَمِّلُوا أَؤْزَارَهُمْ كَأَمْلَاءٍ مُّقِيمَةٍ وِمِنْ أُؤُزَّارِ الْذِّينَ يُضِلُّونَهُمْ بِقِيَارٍ عَالِمٍ أَلاَّ سَأَلَّهُ مَا يَزُوَّدُكُمْ (٥١) [النحل: ٢٤-٢٥]. وفي مقابل هؤلاء الكفار، هناك المؤمنون الذين آمنوا بأن ما أنزل على نبي محمد ﷺ هو الخير والحق، ومن كان كذلك فجزاؤه الحسن في الدنيا والآخرة. يقول ﷺ: «وهللذين أنفقوا ماإن أَنْزَلَ رَبُّكَ فَأَنْفَقُوا وَخَافُوا عَنِ الْآخِرَةِ حَتَّى يُحِبَّنَّكُمْ ذَٰلِكُمْ أَنَّ النُّعُمَّةَ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ الْبَيَانٍ» (النحل: ٣٠). وفي هذه الآيات أيضا تحذير للكفار من عاقبة كفرهم بالقرآن الكريم وبشارة للمؤمنين.

وقد ذكر المفسرون أن قريشاً لما أهمهم أمر النبي ﷺ، ورأوا تأثير القرآن في نفوس الناس، وأخذ أتباع الإسلام يكرون، وصار الودون إلى مكة في موسم الحج وغيره يسألون الناس عن هذا القرآن، وماذا يدعو إليه، دبر لهم الوليد بن المغيرة معاذير واختلافاً يختلفون ليفتقن السائلين به، فندب منهم سنة عشر رجلاً بعثهم أيام الموسم يعدون في عقبات مكة وطرقها التي يرد منها الناس، يقولون لمن سنألهم: لا تغتروا بهذا الذي يدعي أنه نبي فإنه مجنون، أو ساحر، أو شاعر أو كاهن، وأن الكلام الذي يقوله أساطير من أساطير الأولين اكتتبها(١).

وهذه القصة تبين إلى أي حد كان الطعن في القرآن الكريم أمراً مخططاً ومدبراً له، وليس شائعاً فردياً، بل إنه يشبه إلى حد بعيد العمل الذي تقوم

١) ينظر: التحرير والتوهير، محمد الطاهر ابن عاشور، (دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، د.ت)، ١٣٠/١٥
بالشراطة الأولى لانطلاق الاستشراق الذي سيأتي الحديث عنه.

وفي رد عجيب على قولهم بالأساطير عندما أنكروا البحث، وهو مما جاء به القرآن، حين فأولوا أوردو نهداً وحكموا نهداً وعليهما أوردو لمبعوثين (48) فقد وعروا هذه والإعاقة تلك من بين أن هذه إلا أسطورة الأورود (48) (المؤرخون: 428-429)، طلب الله تعالى من نبيه محاولتهم وسؤالهم عن أشياء يعرفونها ويعتقدونها اعتقاداً صحيحاً، وهي مقدمات ومسلمات تؤدي إلى الاعتقاد الصحيح بالقرآن الكريم، يقول سبحانه: فين أوردو الأب وين فيها كأن كنعو نعوو (48) سيفلوكن لوحك أتلاذكربت (48) كل من زيت استحكي أوتستحم وزيت المقرن المظلم (48) سيفلوكن لوحك أتلاذكربت (48) كل من زيت استحكي أوتستحم وزيت المقرن المظلم. تعاونوا (48) سيفلوكن لوحك أتلاذكربت (48) (المؤرخون: 431-432).

وكلمة في الآيات التي تتحدث عن وصف الكفار والشركاء للنبي محمد ﷺ بالساحر والكافر والشاعر والكذاب والمجوس والضلال. يقول الله تعالى: فين أوردو الأب وين فيها كأن كنعو نعوو (48) سيفلوكن لوحك أتلاذكربت (48) كل من زيت استحكي أوتستحم وزيت المقرن المظلم (48) تعاونوا (48) سيفلوكن لوحك أتلاذكربت (48) (المؤرخون: 431-432).

وأعداد هذه الأوصاف إنما يكشف عن الرفض من أجل الرفض فقط، دون حجة علمية. وما أسهل أن يصف المرء غيره بأنه بهذي أو بحرف عند افتقاره للحجة والقدرة على الحجاج، ويظلمه الله تعالى النبي ﷺ وأتباعه بأن التكذيب ليس حاصلاً لكفار قريش، وإنما كان في الأقوم الماضية أيضاً: كأنكِ ما ألقى أُلِّذين من قبلهم من رسول إن كفرُوا أُلِّذا ألقوا سجراً وجعلونا -(الداريات: 52). يقول الإمام القرطبي - رحمه الله - معلقاً على هذه
الانصرار للقرآن .. إسهام في التفسير

الأية: "هذا تسليمة للنبي ﷺ، أي كما كذب قومك والقائل ساحر أو مجنون، كذب من قبلهم وقالوا مثل قولهم"(1). وهذه سنة المكذبين الجاحدين.

أما ما يسقط حجة الكفار ما حكاية القرآن الكريم: "ولقد قلتم أنهم يُقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُونَ بَشَرٌ إِلَّا مُّسَيِّبٌ إِلَّا أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِيَكُونَ عَكْرُفُ مُهَيَّنٌ"(2) [الحل: 103]; حيث يخبرنا نقول أن المشركين كانوا يقولون إن محمدًا ﷺ، وإنما تعليم القرآن على يد بشر، ويشيرون إلى "رجل أعجمي" - كأن بين أظهرهم - غلام لبعض بطن قريش، وكان يبايع بيع عند الصفا، فربما كان رسول الله ﷺ يجلس إليه ويكمله بعض الشيء، وذلك كان أعجمي اللسان لا يعرف العربية، أو أنه كان يعرف شيء

اليسير يقدر ما يرد جواب الخطاب فيما لا بد منه؛ فلهذا قال الله تعالى رادا عليهم في افترائهم ذلك: "يُسَأَلُونَ أَنَّمَا يُعَلِّمُونَ إِلَّا أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِيَكُونَ عَكْرُفُ مُهَيَّنٌ"، يعني: القرآن أي: كيف يتعلم من جاء بهذا القرآن في فصاحته، وبلاغته ومعانيه التامة الشاملة - التي هي أجمل من معاني كل كتاب نزل على نبي أرسل - كيف يتعلم من رجل أعجمي؟ لذا يقول هذا من له أدنى مسكة من العقل"(2).

إن الرد على الكفار والملحدين سيكسر قوة ومعجزة فلن كان القرآن مفتري ومن صنع بشر فليأت به من يستطع ذلك، فردا أو جماعة. وفي هذا يقول الحق: "فَلْيَلْهَيْنَ أَجَمَّعَتُ الْإِلَهَيْنَ وَأَنْجِنَ أَنْ يَأْتُوا يَمِينَ".

---

(1) الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد الأنصاري القرطي، (دار الفكر، د.ت).
(2) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (دار طبية، 1422هـ/2002م)، 4/103/4.
هذا القرآن لا يأولون يشلهء، وله كاتب ببعضهم لبعض طهيرًا [إسرا]: 88.


13-140. ويزيد في إقصاء قوة التحدي لأنه لا مجيب للتحدي الأقوى.


وأما بأباهم تأويله كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كانت عبادة الطاهرين 121.

هذه عينة من الأمثلة على رد القرآن الكريم على دعاوى الطاعنين فيه والمبطلين والمناهلين. والغالبة من ذلك الزاد إبطال حجتهم، وهداية الحارئين، وتثبت قلب النبي ﷺ ومن معه من المؤمنين.

2- مشروعية الانتصار للقرآن من علم الكلام

تبانىت المواقف بشأن علم الكلام بين معتبر له ورفضه. ولا يسمح المقام هنا بإيااد تفاصيل ذلك التبان، ويستنير الباحث للموقف الذي يعتبر علم الكلام. وقوله بما تماشيا مع السواء الأعظم من علماء المسلمين، واعتبارا لما قدم من خدمات جليلة في الفكر الإسلامي. يقول الحسن البصري رحمه الله مبرزا الحاجة إلى علم الكلام: "لم يكن أحد من السلف يذكر ذلك ولا يجادل فيه؛ لأنهم كانوا على أمر واحد، وإنما أحدثوا الكلام فيه لما أحدث الناس من أتكره له فلما أحدث المحدثون في دينهم أحدث الله للمتمسكون بكتابه ما يطلبون به المحدثات ويحرزون
الانصراف للقرآن .. إسهام في التفعيد

من المهم أن المشاهدات "(1)" وتجلد الإشارات إلى أن الباحث ي работник على ما آل إليه
هذا العلم من انحراف عن غاباته وانحرافات في تناول موضوعاته.

واليوم، تبدو الحاجة ملحية إلى تجديد النظر في علم الكلام وانتقيته
بما عقلية من أمور ليست منه، ومن شؤون شوته، وذلك حتى يمكن
أن يؤدي وظيفته في زمن يموج بالأفكار والعقائد. فقد "كان علماء الكلام
أول نشأة علم أصول الدين فئات من جهد الإسلام يدعون عن العقيدة
عوادي الفلسفية المادية الإغريقية، وعوائل السحر المشرقي، ووثبة الهند
والسند، وضلالات الفرس. كان المعتزلة قبل أن يزعموا القباق الجهاد
وصوب الأشاعرة قبل أن تنحص المدارك لتخوت أفخاخا وتعفن العقول
أراضي سليما. ففي زمانا ينبري العلماء الرواد لتقويض الدعائم التي
أسس عليها الإلحاد ببنائه. وفي مناوية إشغال للعدو الجاحز المبكر
المتستر بالإلحاد، واللايكي المستنجد لحلفائه، والمفكر المادي الناهض
بأعيان ما حمل من أوزار الطعن في إسلام المسلمين وعقيدهم وقرآنهم
وتاريخهم المؤسس "(2)".

(1) باب ذكر المعتزلة من كتاب المعرفة والأمل في شرح كتاب الملأ والتحل، أحمد
بن يحيى المرتضى، تصحح توما أرنولد، (مطبعة دائرة المعارف النظائية، جيدير
أباد، الدكن، ١٣١٦)، ص ١٣.
(2) الرسالة العلمية، عبد السلام ياسين، (مطبوعات الهلال، وجدة، ٢٠٠١)، ص
١٨-١٨ (بصف).
فكيف عُرف علم الكلام؟

عرف علم الكلام بتعريف منها: "العلم الذي يتضمن الحاجج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية، والرد على المبتعدة والمنحرفين في الاعتقادات من مذاهب السلف وأهل السنة".(1) وهو أيضا "علم يقتدر معه إثبات العقائد الإيمانية بإبراد الحجج ودفع الشبه".(2)

من خلال هذه التعريف نستنتج أن علم الكلام موضوعه العقائد الإيمانية، أي كل ما له ارتباط بعقيدة المؤمن; ما يثبتها وما يزعمها.

وسيلة إثبات هذه العقائد هي الحاجج عنها، وذلك باستخدام أدلّة عقلية يقينية، وغاية دفع الشبه عن هذه العقائد دحض كل ما يمكنه زعزعتها.

ويجعل الإيجي "مسألة كلام الله تعالى (القرآن) أشهر أجزائه حتى كثر فيه التشاجر والسفك فغلب عليه".(3) هذا بالإضافة إلى أن قضايا علم الكلام مرتبطّة في الغالب بالقرآن، سواء من حيث التأويل الذي عُرف تجاذباً كبيراً بين مختلف طوائف المتكلمين وغيرهم، أو الإعجاز الذي توعّت بشأنه الموافقات بين الكلاسين، دون أن نغفل هنا قضية الإمام أحمد بن حنبيل رحمه الله الذي عُذّب بشأنها، ألا وهي قضية حلق القرآن. ولا يسمح المقام بالتمثيل. ويكفي هذا للحكم بأن القرآن الكريم شغل جزءاً مهماً في علم الكلام.

المقدمة، عبد الرحمن بن خلدون، تحقيق عبد السلام الشدادي، (بيت الفنون، والعلوم، والآداب، الدار البيضاء، 2005، 3/23).

المواقف في علم الكلام، عبد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، (عالم الكتب، بروت، د.ت) ص. 7.

 نفسه ص. 9.
الائتدار للقرآن… إهلاهم في التفعيد

والحديث عن القرآن وعلم الكلام لأبد وأن يجربنا للتطرق إلى
الباقلاوي رحمه الله (٤/٣٢) وكتبه الائتدار للقرآن؛ لأنه أصل فكرة هذا
البحث. والإمام الباقلاوي هو محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن
القاسم، أبو بكر القاضي الباقلاوي البصري المتكلم الفقهي، توجه إلى علم
الكلام نظراً لكثره الملحدين في العراق في القرن الرابع الهجري، كما
عرف بدفاعه عن آراء أبي الحسن الأشعري، ويجداده الشديد للمعزلة
وأنصارهم. وقال عنه ابن تيمية: "إنه أفضل المتكلمين المتبنين إلى أبي
الحسن الأشعري وليس فيهم مثله لا قبله ولا بعده"(١). يحكى أنه ضَنَف
سبعين ألف ورقة في الدفاع عن الدين والرد على المخالفين والملحدين
والمتفسلين.

يجمل الباقلاوي في مقدمته الغاية من تأليف كتاب الائتدار للقرآن
في: "إقامة البرجان على استفاضة أمره وإحاطة السلف بعلمه، والقطاع
العذر في نقله وقيام الحجة على الخلق به، وإبطال ما يدعع أهل
الضلال، من تحريره وتقديره ودخول الخلَل فيه، وذهاب شيء كثير منه،
وزيادة أمور فيه، وما يدعع أهل الإتحاد وشيئهم من منتحلي الإسلام
من تنافض كثيرة منه، وخلو بعضه من الفائدة، وكونه غير مناسب، وما
ذكره من فساد النظام، ودخول اللحن فيه، وركبته التكرار، وقلة البيان،
وتأخر المقدم، وتقديم المؤخر، إلى غير ذلك من وجهه ماظتهن، وذكر

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، أبو النيل عبد الحليم بن أحمد بن محمد
ابن العبد الكعري الحلبلي، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط،
دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط. ١٤٠٦ـ -١٩٨٦(١) ٢٠٢٥/٥، ص. ٢٢/٥.
جُمل مما رُوي من الحروف الزائدة، والقراءات المختلفة لمصحف
الجماعة، والإبانة عن وُهاء نقل ذلك وضعفه، وأن الحجة لم تقم بشيء
منه، وعرفت ما وصفموه من كثرة استطراد الضعفاء بتمويههم وعظم
موقع الانتصار والانتفاع ببعض شبههم، ونحن بحول الله وعونه نأتي
في ذلك بِجُمْلٍ تزيل الريب والشبهة"(١). وهذه كلها قضايا في الدفاع عن
القرآن ورد الشبه عنه والانتصار له، لكن بنفس كلامي جديد.

٣- مشروعية علم النصر من واقع الدراسات القرآنية

لقد حصل فراغ فكري للmuslims في القرون المتأخرة، مقابل تقدم
غربي كان هو الحاسم في ظهور الحداثة في بلاد المسلمين، حيث
استُهدفت جاهزة للتنزيل في بيئة غير بيئة، فكان القرآن الكريم أهم ما
تناوله بأدواتها بما فيها من لوائح المادية المؤلفة للعقل. من هنا لم تكن
الدراسات القرآنية تستقيم بهذه الأدوات، وتدل على ذلك النتائج التي
توصلوا إليها والتي تنافس ربانية القرآن الكريم وقادسته. وما أكثر ما
يثير من دراسات وكتب في هذا المضمار، يصعب على كثيرين تنبهها.

وتجر الإشارة إلى أن كثيرا من الدراسات القرآنية في التراث
الإسلامي، تنتمي إلى ما سمي في الفكر الإسلامي بقوارن الجمود، حيث
توقف العقل المسلم عن الإبداع. وقد شمل هذا الجمود كل أجناس

(١) الانتصار للقرآن، أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم الباقلاني،
TEMPLI محمد عصام القضاة، (دار الفتح – غسان، دار ابن حزم – بيروت، ط١،
٢٠٠١-١٤٢٢) ٤٧، (٧/٠٠٢٣، ٠٠٢٢٤).
الفكر والإبداع. ورغم ذلك، فقد كان يظهر من حين لآخر إنتاج فكري
يحاول التمرد على الأعراف التقليدية السائدة والتخلص من موروثات
الجموذ التي أخذت تتحكم في الفكر... ويمكن القول إن قرون التقليد
الجموذ تمثل نموذجاً لأزمة العقل المسلم.

كما أن الساحة الفكرية تحفل بدراسات المستشرقين الذين تصدوا
للقرآن الكريم بمناهجهم النابعة من معتقداتهم، رغم أن هذه الدراسة
غالباً ما تغلب غلاف العلم. والخليل الكبير الذي يستنتج من دراسة
المستشرقين هو إسفات تصورات العقيدة المسيحية المضطربة والمحرفة
والعقائد المادادية للقرآن الكريم. وهذا الإسفات كما يبدو لكل ذي
عقل لا يستقي ومنظف العلمي بل إنه ليس من العلم في شيء، لكن
يبدو أن الانهيار بالقوي والمتطور (المستشرق) كان له تأثيره على المفكر
المسلم الذي ورث عصور الانحطاط والمطلع إلى الحداثة، فانطلق بردت
المقولات ويؤصل للنصوص.

ويتفق أغلب الباحثين في الاستشراق على أن نقطة بداية الاهتمام
بالقرآن الكريم تمثلت في ترجمته إلى اللغة اللاتينية سنة 1143. وقد
Pedro El Venerable نسبت هذه الترجمة إلى فريق الأب بطرس المبجل
(901-957). وقصة هذه الترجمة كما يعطي يوهان فوك تعود إلى
نجاح المسلمين على أراضي إسبانيا، يقول: "ولقد كانت فكرة التبشير هي
الدافع الحقيقي خلف انشغال الكنيسة بترجمة القرآن واللغة العربية.
فكلاً تائشى الأمثل في تحقيق نصر نهائي بقوة السلاح، بدأ واضحًا أن
احتلال البقاع المقدسة لم يؤدي إلى ثيو المسلمين عن دينهم، بقدر ما أدى
إلى عكس ذلك، وهو تأثر المقاتلين الصليبيين بحضارة المسلمين وتقليد
معيشتهم في حلبات الفكر. وقبل حدوث واقعة (إيديسياس) في شهر ديسمبر من سنة 1143، وهي السنة التي رز فيهما الصليبيون على أعقابهم، ظهرت أول ترجمة لاثني عشر القرآن في سنة 1143.

وإضافة إلى ترجمة القرآن الكريم أنجز الأوروبيون دراسات حول القرآن الكريم، استمدت أساساً بموضوعات من قبل: مصدر القرآن الكريم وتأثره بغيره من الكتب، وزواله، وجمعه، وقراءاته... كما اهتم الاستشراقة المعاصر بإنتاج موسوعات تعريفية بالإسلام والقرآن الكريم. وتعتبر دائرة المعارف الإسلامية من أهم ما يمكن الحديث عنه ضمن الاهتمام المستمر بالقرآن الكريم. وقد صدرت طبعته الأولى بثلاث لغات هي: الإنجليزية، والفرنسية، والألمانية، ابتداء من العام 1914 وحتى العام 1942. وكما يبدو من خلال الصفحة الأولى منها أن دائرة المعارف هذه أنجزت تحت إشراف عمالقة المستشرقين وبذلتهم ومراجعتهم، ويمكن أن نقرأ مثلاً: هامفون جيب، وليفي بروفنسال، وجوزيف شاخت، وبرنارد لويس... فضلاً عن الذين أسهموا في إنجاز موادها ومقالاتها.

1) تاريخ حركة الاستشراقة.. الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا حتى بداية القرن العشرين، يوهان فوك، ترجمة عمر لطفي العالم، (دار المدى الإسلامي، لبنان، ط 2، 2001) ص 16-17.

2) نظرة خاصة إلى صفحات المؤلفين الثلاث من المجلد الأول تكشف لنا عن وجود أسماء إسلامية أذكر منها: فضل الرحمن (جامعة مك جيل، مونتريال)، وحلمي أحمد (جامعة القاهرة)، ومحمد خلف الله (جامعة الأسكندرية). ينظر: The Encyclopaedia of Islam, prepared by a number of Leading Orientalists, (E. J. Brill, Leiden, 1986). V. I. p.V-VII.

20
في هذه الموسوعة نجد مادة القرآن تشمل ما يزيد عن ثلاثين صفحة (1). وقد تناولت القرآن الكريم من خلال النظر في مجموعة من القضايا المرتبطة به، وهي في معظمها القضايا نفسها التي تناولها المستشرقون قديماً وحديثاً.

كما يمكن أن نتحدث هنا عن دائرة معارف القرآن وهي أحدث موسوعة (2) وأهمها في مجال القرآن الكريم وعلومه. وتتضمن ستة مجلدات صدرت ابتداء من 2001 إلى 2006. وهي مرتبة بترتيب الحروف الأعجمية، إلا المجلد السادس فهو خاص بالفهارس. وقد صدرت بمقدمة (3) تضمنت العناصر الآتية: وصف القرآن، دراسة القرآن، عوامل جديدة في قراءة القرآن، إنشاء الموسوعة، استعمال الموسوعة، ثم خاتمة وتعقيب.

يتبنى من خلال ما سبق أن الحاجة ملحة لقيام هذا العلم. وهذا من باب التجديد في مجال الدراسات القرآنية. إن لكل زمن قضاياه وانشغالاته العلمية، وزمتنا هذا مليء بال仇ائد المضطربة التي تشوّش على

(1) Ibid. p. 400-432.
Jane Dammen McAuliffe (2) هذه الموسوعة الضخمة نجدها يتحرر عام لجين دامن ماكونليف، ويستند استشاري يتكون من مجموعة من الباحثين الغربيين إلى جانب باحثين关ربين مسلمين هما نصر حامد أبو زيد (جامعة ليدن) ومحمد أركون (جامعة السوربون). وهذان الباحثان لهما أيضاً نصيب في تحرير بعض مواد الموسوعة.

(3) Encyclopaedia of the Qurʾan, Jane Dammen McAuliffe, (Brill, Leiden, 2001) V.1. p.i-xiii.
المؤمنين بالإسلام والقرآن وتزيغ بهم عن الطريق المستقيم الذي ارتضاه لهم خالقهم. أما القرآن الكريم فهو محفوظ إلى يوم الدين، ولن ينال منه المفسدون والخافدون. وإنما غرضنا من علم الانتصار أن نسهد الكفار رغبة في إيمانهم بإنجابهم، وطمأنة المؤمنين أنهم على الحق المبين، وإعانة الجائعين على سلوك طريق الحق. وهذا هو منهج القرآن الكريم.
البحث الثاني
علم الانتصار للقرآن: مجالاته وموضوعاته

إن مادة علم الانتصار للقرآن هي القرآن الكريم، بل عليه يدور، لكن من جهات التعرض للشبه المثارة حوله قصد دحضها وإثبات قداسته وربانيتها ونزع الربية والشك من صدور الشاكين والباحثين. ويتقدم هذا من خلال مجالات محددة وموضوعات معينة، قد تختلف باختلاف الأزمة من حيث عرضها، ولكنها تمس في جوهر القرآن الكريم. وهذا ليس بالجديد، وإنما كان منذ نزول أول آيات القرآن الكريم. فما هي هذه المجالات وما موضوعاتها؟

لقد ثبت من خلال الاستقراء والمتابعة للدراسات القرآنية أن الشهادات المثارة حول القرآن الكريم تنتمي إلى ثلاثة مجالات رئيسة كبرى، هي: مجال التراث، ومجال الدراسات الاستشراقية، ومجال الدراسات الفكرية المعاصرة. ولكل مجال موضوعاته، وقد تفرع عن كل مجال فروع. وفي هذا البحث سنقول كلمة موجزة حول الموضوعات للدلالة على حجم المسئولة المتتال أن يقوم بها بعلم الانتصار.

١- مجال التراث

أعرض هنا لبعض القضايا التي تفرض مناقشة وتأملاً، وتكشف عن ثغرات منهجية في تراث الدراسات القرآنية تنازل من قداسة القرآن الكريم. وتجرد الإشارة هنا إلى أن الحديث عن التراث يعني الحديث.
عن جميع أصنافه ومجالاته ومستوياته، وليس ترات الدراسات القرآنية
(التفسير وعلوم القرآن) فحسب. كما أشير إلى أن تناول هذه القضايا إنما
هو للتتميل فقط لا الحصر. وإذا لو أراد الباحث تتبع هذه الثغرات في
جل قضايا هذا الفن لاحتاج إلى بحوث. لذا، سأكنني هنا بمثال النسخ
في القرآن من كتب الإفتاء في علوم القرآن للسيوطي.

قال السيوطي (1) رحمه الله:

«النسخ في القرآن على ثلاثة أضرب:

أحدها: ما نسخ تلاوته وحكمه معا. قالت عائشة: "كان فيما أنزل
عشر رضعات معلومات فنسخ بخمس معلومات فتوفي رسول الله
وهن مما يقرأ من القرآن". رواه الشيخان (2).

إن البخاري رحمه الله لم يخرج هذا الحديث. ثم ماذا يفهم من قول
عائشة: "فدويني رسول الله يحيى، وحدث على ما يقرأ من القرآن"؟

هذا الرواية تطرح على الباحث السؤال التالي: هل يجوز النسخ بعد
وفاة النبي؟ وإلا فأين هي الآية الناصلة؟

الضرب الثاني: ما نسخ حكمه دون تلاوته؛ وهذا الضرب هو الذي

(1) ينظر الإفتاء، في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق مركز الدراسات
القرآنية بمجمع الملك، فيد لطباعة المصحف الشريف، (المدينة المنورة،
1426)، 4/4 وما بعدها.
(2) صحيح مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج الشافعي، النيسابوري (بيت الأفكار
الدولية، الرياض، 1998-1419)، كتاب الرضا، باب التحريم بخمس.

24
الانتصار للقرآن .. إسهام في التفهيم

في الكتب المؤلفة، وهو على الحقيقة قليل جداً، وإن أكثر الناس من تعداد الآيات فيه، فإن المحققين منهم كالقاضي أبي بكر بن العربي بين ذلك وأتفقون.

وقال ابن العربي: كل ما في القرآن من الصفح عن الكفار والتطويق والإعراض والكفر عليهم فهو مسند بآية السيف وهي قل إذا أسلَح الأشهر مُعدَّمٌ فأقبَلا السَّمَكَرُين. الآية [النوبة: 5] نسخت مائة وأربعة وعشرين آية، ثم نسخ آخرها أولها.

الضرب الثالث: ما نسخ تلاوته دون حكمه، ومما أوردته فيه:

قال أبو عبد: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن أيوب، عن نافع، عن ابن عمر قال: "لا يقولن أحكام قد أخذت القرآن كله، وما يدرسه ما كله، قد ذهب منه القرآن كثير، ولكن ليل قد أخذته ما ظهر".(1)

وقال: حدثنا ابن أبي مريم عن ابن لهيعة عن أبي الأسود، عن عروة بن الزبير، عن عائشة قالت: "كانت سورة الأحزاب تقرأ في زمن النبي (5).

(1) انظر الموجز في الناسخ والمسنود لابن خزيمة ص 276، (ملحق بالناسخ والمسنود لأبي جعفر النحاس، تحقيق سليمان بن إبراهيم بن عبد الله اللامح، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1991-1412). (2) رواه أبو عبد القاسم بن سلام في فضائل القرآن ومعالجته وآدابه، تحقيق أحمد بن عبد الواحد الخيالي، (وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1415-1995) عن ابن عمر مرفوعاً. وقد علق الباقالاني رحمه على قول ابن عمر قائلاً: "إن المقصود دعاء أنه جمعه على جميع وجوهه وحروفه التي أنزل".

(الانتصار للقرآن 8/4).
مائي آية، فلم تكتب عثمان المصاحف لم يقدر منها إلا على ما هو الآن"(1).

وقال: حدثنا إسماعيل بن جعفر عن المبارك بن فضالة عن عاصم بن أبي النجود عن زر بن حبيش قال: قال لي أبي بن كعب: كأي تعدد سورة الأحزاب؟ قلت: الثلاثين وسبعين آية أو ثلاثة وسبعين آية. قال: إن كنت لتعدل سورة البقرة وإن كنا لقترا فيها آية الرجم. قلت وما آية الرجم؟ قال:

"إذا زنى الشيخ والشيخة فارجموها البثة نكالاً من الله والله عزيز حكيم"(2).

ماذا يقول لنا السبطي رحمه الله بهذه الروايات؟ كيف نفهم: قد ذهب منه قرآن كثير؟ أي ذهب؟ وكذلك: فلما كتب عثمان المصاحف لم يقدر منها إلا على ما هو الآن؟ هل يفهم من هذا عجز عثمان عن جمع كل المصاحف؟

إن الخوض في قضايا علوم القرآن والمتعلقة بالقرآن الكريم، جمعه ونسخه، لا مجال للحكم بالرأي فيها، بل الحسم فيها لا يكون إلا بحدث النبي ﷺ الصحيح، ولمنا تعذر وجود الحديث أضطر العلماء إلى إطلاق العنان للأرأي والروايات المختلفة. وقد رأينا التعبير عن كثير من هذه القضايا غير عنها بـ"قد" مع الفعل المضارع والتي تعني التقليل، وكذلك الإكثار من صيغة التمريض "قيل".

(1) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن، 146/2، وفي سنده لهجة ضعيف (تعليق محققي الإبقاء).

(2) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن، 146/2-147. جاء في تحقيق الإبقاء: "وفي إسناده المبارك بن فضالة وهو مدلس".
الانصاتل القرآن .. إسهام في التفهیء

كما يلاحظ عدم تمحيص الروايات ونقدها والتعليق عليها، وكان العبرة تكمن في إبرادها فقط وليس فيما تدل عليه من معان. وهنا تدعو الضرورة إلى تمحيص الروايات المتعلقة بالقرآن الكريم جمعاً ونحولاً، ولا يكفي أن يكون سندها صحيحاً للحكم عليها، بل يجب النظر إليها في إطار الرؤية القرآنية الكلية.

إن النسخ هو الذي يفتح الباب للقول بتحرير القرآن الكريم والزيادة والتقلص فيه. وهنا تجد الإشارة إلى أن البحث إجتهاداً يرجو أن يكون صائباً، ويتمثل في ضبط القول بنسخ وحصره على نسخ الحكم دون التلاوة، ويبحث عن مخرج آخر للروايات العديدة التي تسمي بعض أخبار الآحاد قرآناً مسوجاً.

يقول العلامة عبد الله بن الصديق رحمه الله: "يلزم القائلين نسخ التلاوة إشكال خطير... معنى نسخ التلاوة عند القائلين أنه أن الله أسقط الآية المسوجة من القرآن، وهذا خطير جداً، لأن كلام الله قديم، وكيف يعقل أن يغير الله كلامه القديم، بحذف آية منه؟ وما القول في هذه الآيات المسوجة؟ هل يقال: كانت من كلام الله الآن ليست منه؟ وكيف يجوز هذا والله تعالى يقول: "لا تبدل لكمات الله"؟ إشكال لا سبيل إلى حله؟".

ونفس الإنتاج النقدي سار عليه الشهيد صبحي الصالح رحمه الله حين قال: "والولوج باكتشاف النسخ في آيات الكتاب أوقع القوم في

(1) ذوق الحلاوة بيان امتناع نسخ التلاوة، عبد الله بن الصديق الغماري، جمعية آل البيت للتراث والعلوم الشرعية، فلسطين، 2007 ص 12.
أخطاء منهجية كان خليقاً بهم أن يتجنبوها لتلا يحملوا الجاهلون حملًا على كتاب الله: لم يكن يخفى على أحد منهم أن القرآن لا تنبت إلا بالروايات، وأن أخبار الأحاديث ظنية لا قطعية، وجعلوا النسخ في القرآن -مع ذلك- على ثلاثة أضرب... أما الجراءة العجبية فهي الضربين الثاني والثالث اللذين نسخت فيهما -بزعمهم- تلاوة آيات معينة إما مع نسخ أحكامها وإما دون نسخ أحكامها... وجميع ما ذكروه منها أخبار آحاد، ولا يجوز القطع على إنزال القرآن ونسخه بأخبار آحاد لا حجة فيها».

وهذا ما أشار إليها الباقلاني رحمه الله مبكرًا حين قال مناقشة هذه الروايات وغيرها في مبحث نفسها، ومهم الإطلاع عليه: "وجملة القول في ذلك أن جمع هذه الروايات أخبار آحاد لا سبيل إلى صحتها والعلم بثبوتها، ولا يخيل لنا أن ننسب إلى أحد من الصحابة ومن دونهم إثبات القرآن زائد على ما في أدينا، أو نقضنا منه بمثالها إليهم من ذلك آمراً أمراً غير معلوم ولا متيقن".

وخلاصة القول: إن الحاجة ماسبة إلى مراجعة نقدية لعلوم القرآن، ونقد محتوياته حتى لا يبقى هذا التراث منفذاً للطاعنين وعبث العابرين. وإذا كان الإيمان عاصماً من قواسم الزيغ والانحراف والشك فإن هناك من يبتغي معرفة نقدة تثبت إيمانه أو تلجه في عالم الإيمان، وليست علوم القرآن بما هي عليه الآن مما يساعد على ذلك... وإن إيجاد منهج

---

(1) مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، دار العلم للصائمين، بيروت، ط 16، 1985، ص 265.

(2) الانتصار للقرآن بالقلاع، 2، 429/4، 430-4.
الانتصار للقرآن .. إسهام في التقيد

نقيذي لعلوم القرآن كفيل ببيان كمال الوجه و قدسيته تعتبر ضرورة ملحة في واقع اختلط فيه الحابل بالنابل، حتى لا يشكك الناس في قرآنهم بما كتبه أسلافهم عن قرآنهم.

٢- مجال الدراسات الاستشراقية للقرآن الكريم

هذا هو المجال الثاني من مجالات علم الانتصار للقرآن. والحديث عن الاستشراق يعني الحديث عن كل فكر غربي ورأي غير إسلامي المبت، ويندرج هنا التبشير أيضا. إن الغابة من هذا البحث هو عرض الأفكار الأساسية في الدراسات الاستشراقية للقرآن الكريم. وسيتم الانتهاء بخمس أفكار، على سبيل التمثيل فقط، هي كالتالي: أصل القرآن، والقراءات القرآنية، وجمع القرآن، وترتيب القرآن، وما ضاع من القرآن.

أولا: أصل القرآن

خصص المستشرقون حيزة مهما لأصل القرآن، وعلى رأسهم الألماني تيودور نولدكه (1836-1930) (١) الجزء الأول من كتابه تاريخ القرآن (١) للكلام عن أصل القرآن، وذلك من خلال مناقشة القضيتين الآتتين: نبوة محمد والوحي؛ وأصل أجزاء القرآن المفردة.

يرى نولدكه أن محمدا "اعتبر ما حرك نفسه أمرا موحيا به، منزلا من السماء، ولن يختبر اعتقاده إطلاقا، بل اتبع الغريزة التي كانت تدفع به.

(١) تاريخ القرآن، تيودور نولدكه، ترجمة جورج تامر، (بيروت، ط1، ٢٠٠٤) ص1-٢٣٢.
تارة إلى هنا وطورا إلى هناك، وذلك أنه اعتبر هذه الغريزة صوت الله الذي أتته. وهذا ينتج الفهم الحرفي الظاهر للوحي الذي يقوم عليه الإسلام"(١).

ويخلص نولدكو بالخالفة إلى نتيجة مفادها أن سور القرآن الكريم أعدها النبي ﷺ بتفكير واع وبواسطة استخدام قصص من مصادره غريبة مثيرة، وكأنها وحي حقيقي من الله... فما هي هذه المصادر؟

ينطلق نولدكو من نقطة مفادها أن المصدر الرئيس للوحي بحسب ما يؤمن به المسلمون وما يعتقد الفكر الوسيط، وحتى جزء من المعاصر، هو ما تحمل الكتابات اليهودية، بل حتى أقدم السور بها ما يشير إلى مصادرها. من هنا يقرر أن "لا لزوم للتحليل لنكتشف أن أكثر قصص الأنباء في القرآن لا بل الكثير من التعاليم والضرائب، هي ذات أصل يهودي. أما تأثير الإنجيل فهو دون ذلك بكثير"(٢). ثم يؤيد قراره هذا بشهادة من الواقع مؤداها أن اليهود كانوا موجودين في أماكن عدة بالجزيرة العربية وكانوا يقيمون في مناطق يربع التي كانت على صلة وثيقة بموطن محمد ﷺ، وكانوا يترددون كثيرا على مكة.

كما يعتبر نولدكو أن أحد أهم مصادر تعاليم النبي محمد ﷺ يمثل في الاعتقادات التي اعتنقتها قومه، وبرد ذلك إلى أن ما من صلح يمكنه أن ينصل تماماً من المعتقدات التي تربى عليها. ويدعى هذا ببعض الأمور التي كانت سائدة في الجاهلية فأقرأها الرسول ﷺ أو عدلها.

١. نفسه ص ٦٥.
٢. نفسه ص ٧.
وهكذا، يخلص نولدك بالقارئ إلى أن الدين الذي قدر له أن يهز العالم "أنصهر في وجدان محمد من مواز مختلفة. ما أضافه هو إلى ذلك بقل أهمية عما أخذه عن الآخرين."(1)

ثانيا: القراءات القرآنية

في الفصل المعنون "القراءات"(2) تناول تيودور نولدك في أكثر من مائة صفحة(3) موضوع القراءات القرآنية من خلال العناصر الآتية:
- مسائل أساسية (مثل المصادر، العلاقة مع الرسم، توحيد القراءات، نقد الروايات...)
- القراء والقراءات.
- كتب القراءات.

يرى نولدك أن حقائق كثيرة تؤكد التحول من النقل الشفوي للقرآن، الذي ساد في فجر الإسلام، إلى دراسة النص القرآني المكتوب. ويوضح ذلك بأن النسخ "التي أرسلها عثمان إلى بعض المدن تأثرت بطريقة تتعلق في هذه المدن، ودخلت فيها بعض أخطاء النسخ... من الممكن طبعا أن تنشأ في المؤثر الشفوي أشكال مزدوجة للنص لا تظهر اختلافاتها بوضوح في الكلمات غير المشكلة..."(4)، ثم يخلص بالقارئ إلى أن

(1) نفسه ص 19
(2) هذا الفصل يدرج ضمن الجزء الثالث من كتاب تاريخ القرآن، وهو يحمل عنوان "تاريخ القرآن" أيضا.
(3) نفسه ص 555-556.
(4) نفسه ص 557-558.
كمية أساسية كبيرة من القراءات التي خرجت من رحم النص المكتوب تكون خلال نصف قرن، أي منذ تاريخ كتابة نسخة عثمان إلى فترة الازدهار العلمي عند الحسن البصري.

إن تكوين النص المعتبر - في نظر نولدكه - عرف مراحلين متداخلتين، هما: الموازنة داخل كل مصر، وبعد ذلك بين الأمصار. ويرى أن "لو استمر هذا التطور من دون تشويش لأمكن الوصول إلى قول نص، تقل درجة فعل الصدفة فيه عما هي عليه في النص المشهور لحفظ بن عاصم المعروف..." ويرجع نولدكه وقف هذا التطور إلى ابن مjahed صاحب المذهب الت킬يدي الذي لم يعد يسمح بربط القراءات ذات المنبت المختلفة بعضها بعض.

أما المستشرق إنجاس جولد تسيهير (Ignaz Goldziher 1850-1921) فقد خصص في كتابه مذاهب التفسير الإسلامي ما يقرب من سبعين صفحة للحديث عن القراءات القرآنية(1)، وذلك في فصل يعنوان "المرحلة الأولى التفسير"(2)، مكون من بحثين.

ولعل أول ما يتبادر إلى ذهن القارئ لهذا الفصل، وحتى قبل

1. نفسه ص 578.

2. اهتم كثير من الباحثين بنقد ما عرضه جولد تسيهير في موضوع القراءات، منهم:

3. مذاهب التفسير الإسلامي، جولد تسيهير، ترجمة عبد الحليم النجار، دار اقرأ، بيروت، ط، ١٩٩٢، ص ٢-٣٢-٢٠٠٢ (١٤٣٣-٢٠٠٢).

4. ماذهب التفسير الإسلامي، جولد تسيهير، ترجمة عبد الحليم النجار، دار اقرأ، بيروت، ط ١٩٩٢، ص ٣٢-٢٠٠٢.
الخوض في مضامينه، وانطلاقا من العناوين الفرعية التي تحمل مادة "القراءات" أن القراءات القرآنية، في زعم جولد تسيهير، ما هي إلا وجه من وجه تفسير القرآن الكريم. وقد تابعه في هذا المستشرق الفرنسي، ريجيس بلاشير.

يبدأ جولد تسيهير بتقرير أن إقامة النص القرآني نفسه تشمل على بذور التفسير. وهذا يدفعه إلى القول: لا يوجد كتاب تشريعي، اعترفت به طائفة دينية اعتراضاً عقدياً على أنه نص منزل أو موحى به، يقدم نصه في أقدم عصور تداوله مثل هذه الصورة من الاضطراب وعدم الثبات، كما نجد في نص القرآن"(1). فما سبب هذا الاضطراب؟

ينفي جولد تسيهير أن يكون هناك نص موحد للقرآن الكريم، وتبني أولى الرغبات في التوحيد في عمل عثمان بن عفان، لكن هذه الرغبة لم يحل술ها توفيق كبير.

ورد صاحب مذاهب التفسير الإسلامي الاختلافات في قراءات القرآن الكريم إلى "خصوصية الخط العربي، الذي يقدم هيكله المرسوم مقدار صوبة مختلفة، تباعا لاختلاف النقاط الموضوعية فوق هذا الهيكل أو تحته، وعدد تلك النقاط"(2). ويرجع هنا مجموعة من الأمثلة لتبني مع ما ذهب إليه، وأقتصر منها على قوله تعالى: "وأذن أخصب الأعشار رياكباً يَعْرِقُونَ يَسَمَّعُونَ قالوا ما أعبق عنكم جموعكم وما كتموه. ضحكون (8) الأعراف: (3) نقصه ص 4

(1) نقصه ص 9
(2) نقصه ص 8
ويقول إن بعض القراء قرأوا (تستكيرون) بدلاً من (تستكيرون).
ويعمل عبد الحليم النجار مترجم الكتاب على هذا النموذج المختار قائلا: "وحسب هذٌ دليل على أن الخط لم يكن هو العمدة في صحة القراءة".

ثم يتوقف جولد تسهير طويلاً عند ابن مسعود، مبدئاً وجهة نظره في قراءاته ومكتات بين القراء، مقارناً بين قراءته وقراءة زيد بن ثابت. ويورد روايات مفادها أن زيداً كان أصغر سنًا من ابن مسعود بكثير ولم يعُش مع النبي إلا مدة وجيزة لصغر سنه، ثم يتساءل: "كيف إذن وضعت قراءته (يقصد ابن مسعود)، التي تلقاها عن المصدر الأصلي مباشرة، وراء قراءة زيد بن ثابت"؟

كما يتوقف جولد تسهير طويلاً عند الحرية في اختيار القراءات، ويقرر أنه "كان سواء لدى الناس أن يرووا النص على وجه لا يتفق بالكلية مع صورته الأصلية". ويسوق هنا عدداً من الشواهد لنثبت رأيه، ويخبر القراء أن هناك قراءات مخالفات للنص المنشور ذكرت على أنها قراءات الرسول. مما يدعو للعجب إبراد رواية لعبد الله بن أبي سرح، أحد كتاب الوحي المعروفين، افتخر أمام القرشيين بما كان يتمتع به من التوفّع عند الرسول. فقال إنه كان يحول النبي كما يريد، يقول عبد الله بن أبي سرح: "كان يملئ علي مثلاً (عَزِيز حكيم)، فأقول: "هل

---

(1) نسخه ص ٩ (الهامش).
(2) نسخه ص ٤٨.
الانتصار للقرآن .. إسهام في التقيد

أكتب (عليهم حكيم)؟ ففيقول النبي ﷺ: "نعم، كل صواب"(۱) . وحيل هذا إلى أسد الغابة في معرفة الصحابة. وهذا يؤكد ضرورة نقد التراث.
إن القول بحرية القراءة وما نتج عنه من إمكانية قراءة القرآن بالمعنى لتم توقيف عند جولج تسهل، بل نجد الفرنسي ريجيس بلاشتر يتفقها ويؤيدها وينبض القراء بها إلى بعض المؤمنين الذين لم يغلفوا على نص القرآن بحرفه، بل رأوا أن المهم إنما هو روحه(۲).
ثالثا: جمع القرآن:

عندما يذكر جمع القرآن الكريم فإن أول اسم استشرافي يتبادل إلى ذهن الباحثين هو تعودون نولدك وعمله الضخم تاريخ القرآن. ففي هذا الكتاب يخصص الجزء الثاني لبحث قضية جمع القرآن من خلال سبع نقاط جاءت فيما يقارب مائة صفحة(۳).

(۱) نفسه ص ۵۱.
(۳) تاريخ القرآن، نولدك، ص ۲۳۵-۴۵۳: وبه هذه النقاط السبع هي: ۱- حفظ ندوب الوحي في أيام محمد ﷺ على أساس تلويحات قرآنية ووضع السور النصي. ۲- جامع القرآن غير الآثرين، أو خلاف الوحي. ۳- المجموعات والنسخ المكتوبة. ۴- جمع زيد بن ثابت الأول. ۵- النسخ الأخرى الشائعة قبل نسخة عثمان، وهنا تعرض نولدك لمصروف عبد الله بن مسعود الذي يثير جدلاً بين المستشرقين وحتى بين المسلمين. ۶- نشوء نسخة القرآن الرسمية في عهد الخليفة عثمان. ۷- القرآن المحمدي في علاقته بالكتب المقدسة المسيحية. **
ينطلق نولدكه في كلامه عن جمع القرآن الكريم نقطة يعتبرها بدهية، وهي "أن القرآن لم يجمع كاملا في أيام النبي (1)، ثم يدرس ناقدا روايات جمع القرآن الكريم المتوقرة لديه، وليأمل القارئ كيف ينطلق نولدكه من نقطة لا يمكن الاتفاق حولها ثم يقرر بعد ذلك ما يريد ويخلص إلى هدفه.

بعد ذلك، ينتقل إلى عرض نسخ مصحف كل من عبد الله بن أبي وعبد الله بن مسعود (2) بعد أن بين مكانههما في الإسلام. ففي مجموعة السور التي تضمنها مصحف ابن أبي هاشم صورتان لم تضمنهما النسخة الرسمية مما سورة الخجول والحفد. وبعد أن يقر بعدم إمكانية نسخة هاتين السورتين إلى الوحي لكونهما دعاء وعهم اشتمالهما على لفظ "قل" قياسا على سورة الفلق والناس، يخلصنا إلى أن هذه الحجة نفسها تدعو إلى الشك في أن تكون الفاتحة جزءا من الوحي.

ثم يناقش مصحف ابن مسعود (2) الذي يتضمن 111 سورة، حسب ما هو متورط لديه من روايات، أي من غير سور الفاتحة والفقه والناس. ويعلق على موقف ابن مسعود (2) قائلا: "لم يكن موقف ابن مسعود الرافت للسورة الثلاث اعتباطيا، فإنها تختلف، شكلا ومضمونا، عن سائر السور، الأمر الذي يدعو إلى الشك في صحتها. في حين أن الفاتحة اليهودية. ثم نجد بعد هذه النقط ملحقا بالمصادر المحمدية والأبحاث المسيحية الحديثة حول أصل الآيات والسور ونشوء كتاب القرآن.

(1) نفسه ص 252-253.

26
الانتصار للقرآن .. إسهام في التفهيم

تظهر قريباً كبيرة من الصلوات اليهودية والصوفية، فإن لسورتي القسم خلفية وثيقة واضحة، حتى ولو كانت تبديان بعبارة "قل" 

يتوقف نولدكه طويلًا عند النقطة المثيرة للمجدل، ألا وهي تقديم زيد بن ثابت في جميع القرآن على عهد عثمان ﺑﻦ ﻏﻨﺎمٍ، ويقرر أنه لا يوجد أجرد من زيد لقيام بعمل النسخ هذا، لكونه هو كاتب هذا المخطوط الأساسي ومحرره (أي مخطوط مصحف خفصة الذي أصبح بيد عثمان ﺑﻦ ﺓﺮم). وفي هذا رد غير مباشر على جولد تسيبير في رأيه السابق.

والخلاصة التي يصل إليها نولدكه هي أن "عثمان لم يفعل من أجل الحصول على نص موحد للقرآن إلا أنه أوعز نسخ أهم المخطوطات المتوفرة في المدينة. ومن ثم لم يعد من الضروري الحديث عن جمعه، بل عن إصداره إياه. هذا الإصدار لم يكن كاملاً، كما اعترف المسلمون أنفسهم بذلك، منذ زمن طويل". ويسوق هنا مجموعة من الروايات الواردة في الموضوع.

رابع: ترتيب القرآن

ومما له علاقة بجمع القرآن قضية مهمة أسالت الكثير من المداد أيضاً وهي قضية ترتيب القرآن. وقد تناولها كثير من المستشرقين، منهم تيودور نولدكه (3) وإدوارد سيل (1) وبلاشير في النسخة الأولى لترجمتهه

(1) نسخه ص 274
(2) نسخه ص 291
(3) نسخه ص 31 وما بعدها.

لمعاني القرآن الكريم. وقد تلقفها بعدهم كثير من المسلمين كان آخرهم محمد عابد الجابري.

ينتقد نولدكه ترتيب سور القرآن الكريم في مصحف عثمان بأنه ترتيب غير واضح القصد. ولا يمكن أن يبرر هذا الترتيب، في نظره، إلا بمعيار الطول فباستثناء الفاتحة، فإن حجم السورة هو المتحكم. ويورد

إحصائيات يدعم بها رأيه.

ويقترح نولدكه ترتيبا للقرآن الكريم يشتمل على ثلاث فترات، وكل فترة بدورها مرتبة سورها:

١ - سور الفترة الأولى (١): تبدأ بنزول القرآن الكريم، أي من السنة الأولى من البهجة حتى السنة الخامسة.

٢ - سور الفترة الثانية (٢): وتشمل سور السنين الخامسة والسادسة من البهجة.

٣ - سور الفترة الثالثة (٣): وتشمل سور القرآن الكريم التي نزلت من السابعة من البهجة إلى الهجرة.

وهذه كلها تشمل السور المكية.

٤ - سور الفترة المدنية كلها (٤).

١) تاريخ القرآن، نولدكه، ص ٦٨.
٢) نفسه ص ١٠٥.
٣) نفسه ص ١٢٨.
٤) نفسه ص ١٤٨.

٢٨
و قريب من هذا التقسيم تقسيم بلاشير الذي يرى أنه نقرأ القرآن اليوم عكس ما نزل به من ترتيب، و يذكر أن "السور تتقسم إلى أربع مجموعات توافق فترات رسالة محمد الأربع المتتالية". هذه الفترات الأربع ثلاث منها تنتمي إلى المرحلة المكية، بينما الرابعة تخص السور المدنية. لكن بلاشير نقل عن ترتيب القرآن وفق نزوله في الطبعة الثانية لترجمة القرآن. وهذا دليل على غياب الفائدة والجدوى منه، كما أن الوثائق لا تسعف، وأي ترتيب مزعوم يبقى مجرد ظن.

خامسا: ما ضاع من القرآن

يجد الباحث في كتب المستشرقين كلاما عن ضياع جزء مهم من القرآن، وكذلك عن نسخ بعضه. وهذا مما يحتل به أيضا كتب الحديثيين من المسلمين. وبالعودة إلى شيخ المستشرقين تيودور نولدكه يجد الباحث في تاريخ القرآن عنوانا بارزا في الجزء الأول بعنوان "ما لا يتضمنه القرآن مما أوجب إلى محمد". ويتناول أربع نقاط كالآتي:

أولا: "يهيمننا بالدرجة الأولى تلك التي ما زال نسخها محفوظات والتي يصفها الحديث صراحة بأنها أجزاء أصيلة من القرآن". و مما يذكره من تلك النصوص آية الرجم. وهنا يورد نولدكه ما اعتبره علماء القرآن منسوخا.

(1) دراسة سور القرآن وأية شكلة ومحتوى، ريجيس بلاشير، ترجمة محمد المختار العبيدي، (حوليات الجامعة التونسية، العددان 21-22، 1982-1983).
(2) تاريخ القرآن، نولدكه، ص 310.

39
ثانياً: "تملك بعض المعلومات عن مقاطع قرآنية ضاعت من دون أن يبقى لها أثر" (1). ويسوق هنا أمثلة منها سورة الأحزاب التي يروى أن عدد آياتها كان يبلغ المائتين آية بينما هي الآن لا تتجاوز ستة وسبعين آية.

ثالثا: "تذكر أحاديث محمد ﷺ التي تعتبر بدورها وحيا إلهيا، لكنها لا تعلن صراحة أجزاء من القرآن، ثمة مخطوطات تجمع فيها هذه الأقوال" (2). من هذه الأحاديث قوله ﷺ فيما يرويه عن ربه ﷺ: "إذا تقرب اللَّهُ إليَّ شمساً ألقِتْ إليه ذراعةٌ وإذا تقربَ مَيْيَة ذراعةَ تَقْرَبَتْ منهُ باعًا" و"إذا أتاني مَيْيَة ألقِتْ على نفْسِه هزوةً" كما عند البخاري رحمه الله. ويبدو أن نولدك يتحدث هنا عن الأحاديث القدسية.

رابعا: "لا يد من ذكر آخر العدد الضخم من الروايات التي أطلق فيها محمد ﷺ في مختلف المناسبات تحذيرات أو أوامر، أو كشفا عن الحاضرات أو المقابلات بوحي أناه" (3). ويبدو أن نولدك هنا يشدد مناقشة ما هو إخبار من عند النبي ﷺ بالمغيبات سواء حاضراً أو مستقبلاً.

ثم يختم هذا البحث معلقاً ومستنحاً يقول: "علل النبي ﷺ نفسه اعتراف الشك أحياناً، وهو على هذه الأرضية المضطربة. ولم يكن اللاحقون الذين تولوا مهمة جمع تركه أقل منه عرضة للخطأ. لهذا السبب تمكنت أقوال عادية أن تنال بسهولة صفقة "الأحاديث القدسية"، وحتى أن تستر كصحي من الدرجة الأولى إلى القرآن. كذلك تمكنت

(1) نفسه ص 228
(2) نفسه ص 229
(3) نفسه ص 231
 thumbs up thumbs down thumbs up thumbs down thumbs up thumbs down
النقد المطلوب. من هنا، فهو يرفض القراءة الإيمانية، أو "اللاهوتية" حسب تعبيره. والمقصود بها كل التراث التفسيري الذي خلفه المسلمون، وكل ما دون القرآن الكريم، قديما وحديثا. وعبارة أخرى، هو كل تعلق مع القرآن الكريم يرسخ الإيمان ويثبيه في نفس المؤمنين.

لا يخفي أركن قلقه من قلة الأبحاث السيميائية على القرآن الكريم، باستثناء محاولة نصر حامد أبي زيد التي لا تتفق غليظه، رغم كونه أول باحث مسلم يكتب بالعربية بادرا إلى تطبيق الألفابطات الحديثة على النص القرآني وانهتك محرمات كثيرة بهذا الصدد. ورغم ما أحدثه كتاباته من ضجة فإن أركن يراه كتابات عادية تدل على مدى اتساع اللا مفكر والمستقبل التفكير فيه.

ويرى أن الفكر الدينى اليوم يحاجة إلى باحثين مستقلين بعد أن كان طيلة قرون عديدة إما حكرا على سفته وخدمته المتحمسين، وإما وسيلة للمجادلين الذين يستهدفون غايات أخرى. إن التحليل السيميائي في نظر أركن يفرض على الدرس ممارسة تمرين من التقييم والنقاش العقلي والفكري لا بد منه.

ويرى أركن أن على من يقوم بهذا التحليل السيميائي مهمته:

1. الأولي: أن يمزج بتكوين علمي ويحظر بالأرضية المفهومة الخاصة بالسياقات والسينما الحديثة مع ما يصاحبها من أطر التفكير وال النقد الإستماعي.

(1) يحيلنا أركن هنا إلى كتاب نصر حامد أبو زيد، مفهوم النص.. دراسة في علوم القرآن، (المركز الثقافي العربي، البيضاء، 1990).
الانتصار للقرآن .. إسهام في التفهيم

- "الثانية: أن يتدرّب على التمييز بين الاحتجاج والإدراك والتأويل والتفسير الذي يتم في الإطار المعرفي الدوغمائي وبين التحليل والتفكيك للخطاب المدني. فهذان شيئاً متفاوتان (1). وهذه دعوة من أركون للفظيعة مع القراءة التبولوجية الإيمانية التي سادت في التراث التفسيري بمختلف أنواعها.

إن منهج أركون التفكيكي هذا لا يقدم أي فائدة علمية، لأن المؤمنين بالقرآن الكريم والإسلام، لا إلى غيرهم، بل إنه يهدّد إلى تقويض كل ما له صلة بالعجم والغيب والإيمان، وغيّر دليل. إنه يزحزح فقط من أجل التجاوز (déplacer pour dépasser).

إن المنطق الرئيس للسيمائيات عند كريمسان (2) كان هو الحكايات الشعبية. مما يجعل تطبيقها على النص القرآني فيه الكثير من المغامرة. أضف إلى ذلك أن ما من نظرية ظهرت إلا وتحمل في طياتها نزعات الإيديولوجية التي أبدعتها قد لا تتفق والإيديولوجيات والمؤسسات الأخرى، وتتطابق لا ينفصل عنها.

(1) القرآن، من التفسير المتواتر إلى تحليل الخطاب الديني، محمد أركون، ترجمة هاشم صالح، (دار الطبيعة، بيروت، ط 2001، ص 5.
(2) يعتبر كتاب الدلالات البنية لكريمسان اللبنة الأساس لما يعرف بمدرسة باريس السيمائية الشهيرة، وهي المدرسة التي يبنىها محمد أركون. ينظر:

2- عبد المجيد الشرفي والمنهج المقارن في قراءة الإنتاج الديني

إن الباحث التونسي عبد المجيد الشرفي مهتم ب موضوع تحديث الفكر الإسلامي بمجالاته المتعددة. لذا نجد بهدف أن تحديث مجالات "علم الكلام"(1)، "الинтерпрétة القرآني"(2)، "الحديث النبوي"(3)، و"الفقه"(4)، و"أصول الفقه"(5)، و"علوم القرآن"(6). ويمكن القول إن دعوته إلى تجديد النظر في الدراسات القرآنية تقع من نظرية الشاملة لتحديد الفكر الإسلامي.

وينبى إلى خصوصية الإنتاج الديني مقارنة مع الإنتاج الأدبي؛ ذلك أن الأول يقدم إلى قيم أخلاقية ويحمل في طياته فيما وجودية تضفي على الحياة والمومت والمصير معنى. وهكذا، فإن العديد من المجتمعات مهيئة على أساس ما اتفاح الشرفي على تسميته بالإنتاج الديني. وهذا الكتاب سواء كان توراة أو إنجيلا أو قرآنا فهو قابل للتعظيم والتقديس من جهة، وقابل أيضا "الأشهد القراءات اختلافا عبر الزمان والمكان.

الإسلام والحداثة، عبد المجيد الشرفي، (دار المدار الإسلامي، بيروت، ط 1،
(1) الإسلام والحدثة، عبد المجيد الشرفي، (دار المدار الإسلامي، بيروت، ط 1، 2009، ص 43.
(2) نفسه ص 25.
(3) نفسه ص 91.
(4) نفسه ص 107.
(5) نفسه ص 137.
(6) لينات، عبد المجيد الشرفي، (دار الجنوب للنشر، تونس، 1994، ص 99-129،
والإسلام بين الرسالة والتاريخ، الشرفي، (دار الطليعة، بيروت، ط 1، 2001، ص 40-46.

44
الانصراف للقرآن .. إسهام في التفهيم

وحسب مستويات الثقافة واهتمامات القراء التاريخية أو الفنية أو المذهبية(1). وهذا يعني أن الوظيفة الاجتماعية لهذه الكتاب المقدسة لم تقتصر على الفترة التي ظهرت فيها فقط، وإنما سارية على المجتمعات المتعاقبة، وذلك عن طريق ثلاثة أنماط رئيسة من القراءة، هي:

أولا: القراءة التكرارية

والتي أكثر الأنماط شعبية، ويمثل لها الشرفي بالقراءة التي يؤديها المصلح في صلاته بصفة عفوية، أو تؤدي في المناسبات الاجتماعية.

وهذه القراءة "في الغالب قراءة تكرارية تكتفي بإعادة ما في النص دون فهم في كثير من الأحيان. وهي، في هذا الاستظهار للكتاب عن طريق الذاكرة، تدعي لنفسها ضميا القراء من معنى النص الوحيد والانفراد به، لا سيما إن لم تكن عملية آلية وارتقت إلى مستوى التدبر"(2).

يقترح الشرفي أن تعت هذه القراءة بالقراءة السلبية، لأنها -في نظرة- تخذي شعوراً ما في نفس القارئ ولا تحرك من ملكاته العقلية سوى البسير، يستو فيها الجاهل والعالم والمتعلم ولا تتطلب مهارات خاصة أو ميزة للفهم بها، بل يكتفي في ذلك أن يكون القرئ قادرًا على فك الرموز وقراءة الحروف.

إضافة إلى كون هذه القراءة سلبية، فإن الشرفي يقترح أيضاً أن تسمى قراءة تقريبية، والسبب في ذلك هو أن ثلاثة أرباع المسلمين من

(1) مكتات، ص 102.
(2) نفسه ص 104.
غير العرب، وهم حين يقرأون القرآن في هذا النوع من القراءة، بل حتى العرب أيضاً بسبب الأمية المنشورة، خاصة بين النساء. من هنا لا يقدر كثيرون على القيام بقراءة غير هذه القراءة التكرارية. ويضيف الشرفي إلى كل هذا التحول الذي طرأ على اللغة العربية، إذ هناك فرق بين لغة القرآن واللغة العربية المتداولة حديثاً. وهذا يجعل غير المتضرعين في اللغة عاجزين عن التفاوض إلى معاني النص بصفة دقيقة.

ومن حق الباحث هنا أن يسأل الشرفي: لماذا يقوم المسلم بهذه القراءة التكرارية؟

إذا تجاوز مثل هذا السؤال يوجد أن الشرفي وغيره يجعلون من القرآن الكريم نصاً كباقي النصوص لا يقرأه إلا من بيد دراسته أو تلقته... أما قراءة القرآن الكريم، أو تكراره، طلب للأجر وامتثالاً لأوامر الله تعالى وتوجيهات النبي ﷺ فلا اعتبار لها عند. إن القرآن الكريم حسب هذا المنظور لن يكون إلا نصاً معرفياً، لا علاقة له بالإيمان والاعتقاد والعمل بمقتضابهما.

ثانياً: القراءة التفسيرية

تشكل هذه القراءة النمط الرئيسي، وتعني "قراءة فنية تبحث بالاعتماد على اختصاصات عديدة عن المعنى الأصلي للنص لغاية تقعيدية معيارية" (1). ويبين الشرفي أن هذا النوع من القراءة مورس في مختلف

(1) نفسه ص 105

46
النص:

الكتب الدينية، حيث كان المفسرون يوضحون كل ما يمكن أن يشير لهم سبيل التعرف على مضامين الكتاب، ويورد هنا:
- التاريخ والأخبار، وذلك من أجل معرفة الظروف الحافلة بظهور الكتاب ومعرفة رغبة وكيفية تدوينه.
- اللغة وخصائص التعبير والأسلوب، وذلك من أجل الوصول إلى المعنى الأول.

وهنا يحن الفرصة التمييز بين القراءة التفسيرية في القديم، حين كانت من اختصاص المؤمنين، والقراءة التفسيرية الحديثة التي "ليست لها بالضرورة غاية معيارية، وهي بالتالي ملك مشاعر المؤمنين، فنُفي للقيام بها مهما كانت عقيدتهم"(1). لكي يستدرك أن هذا التمييز لا يعني القطعية المطلقة بين التفسيرين، وكأنه هنا يستحضر استنكار القارئ، فردد موضحا أن اختلاف النتائج راجع فقط إلى تبلور مبادئ النقد وتوفر معرفة جديدة. ويُنصح هنا بمثال الترتيب الزمني لسور القرآن الكريم عند نولدكوك وشفالي وبلاشان الذي لا يتعدد جوهريا عن الترتيب الذي توصل إليه المفسرون المسلمون القدامى اعتناءًا على أسباب النزول.

إنه مهمة المفسرين الموضوعيين، كما يوضح الشرع، هي العمل على إثبات استمرارية القراءة وطمغ الصراعات التأويلية بالحكم عليها بمعيار الخطأ والصواب الذي يستند إلى تصنيف ثنائي: الأروثودكسية والهرطقة، أو الغرفة الناجية والفرق الضالة. لكن الدارس المقارن لا

(1) نفسه ص 106.
يرضه التفسير على هذا النحو؛ لأن منهجه يفرض عليه عدم المفاضلة بين التأويلات التي كتب لها النجاح تاريخياً والتاويلات التي وقع القضاء عليها بقوة السيف والسلطنان لا بقوة الحجة والدليل. إن الدارس المقارن لا يحكم لصالح أهل السنة أو الشيعة أو الخوارج أو المعتزلة بالنظر إلى موقعه من هذه الفرق، وإنما بما يتوفر لديه من حجج وأدلة لهذا الفريق أو ذاك.

ثالثا: القراءة التأويلية

يجمال الشرفي خصائص هذه القراءة التأويلية في "البحث عن معان متعددة للنص ملائمة لظروف الحياة المتجددة هي كذلك، على أساس أن الكتاب عند ظهوره قد اندرج ضمن استمرارية ثقافية"(1). ويوضح أن الألفاظ يمكن أن تكتب أبعاداً جديداً، كما يمكن للقارئ بهذه القراءة أن يتعلق بروح النص ومفاصله لا أن يقيد بحرفته.

وهنا يوضح أن النص ليس حياً بالنسبة إلى القارئ ما لم يكن له معنى يستجيب لحاجته إلى أجرية عن إشكالات عصره وظروف وثقافته. وهذا ما عرف في الفكر الغربي بالهرمنوطيقا الفلسفية التي استقرت على يد هانس جورج جادمير(2). لكن الشرفي لا يرى هذه القراءة في أن

---

(1) نفسه ص 109.
(2) يرى جادمير أن أساس الهرمنوطيقا هو النموذج القائم بين الحاضر والباعي وعليه فإن الفهم عنده لا بد أن يجيب عما يقوله النص للحالة التي نعيشه، ويرفض أن يكون فهم النص يتسم عبر الاتسجام الروحي والنفسي مع المؤلف، أو
الانصراف للقرآن .. إسهام في التفعيد

تنقلب إلى إيديولوجيا وأن تكون النصوص تعلّة وقناعاً للدفاع عن قيم دينيّة صرفاء.

بعد عرض هذه الأنماط من القراءة، ما هي النتائج التي يخلص إليها عبد المجيد الشرفي؟

- "إن للقراءة حدوداً تمثل في سلطة النص ذاته الذي يقاوم ما لا يتلاءم مع طبيعته، وتمثل في ما تقوم به المجموعة الدينية من تعديل وفق أوضاعها الخاصة بحيث تغلب قراءة على أخرى وتهيمن بعض التفسيرات والتأويلات حتى تصبح شاذة وتدخل طبي النسيان".(1)

- "إن هذه القراءات الثلاث تمثل وظائف اجتماعية للنص، وإنها تتدأج إلى حد أن كل محاولة نقديّة لتفكيكها تبدو للمجتمع وكأنها ترمى إلى كسر شيء ما يعتبرها نوعاً من الكفر؛ لأنه يخلط بين النص والقراءة؛ ولأن ما يخشى هو أن يكون النص هو المعنى بهذا التفكيك لا قراءاته فحسب".(2)

- "إن الدراسة المقارنة للإنتاج الديني تبرز بعض الظواهر القارة في آثار

---


(2) نفسه ص 110-111.
قراءة النصوص المقدسة: منها توظيفها لإضفاء المشروعية على المؤسسات البشرية (الصلات الجنسية داخل الأسرة، نظام الحكم ...). وإن القراءة يمكن أن تؤدي إلى الاستلاب كما يمكن أن تكون عاملاً مضاذاً للاستلاب، وإن القراءة الكليانية التي تدعي أنها وحدها الصحيحة وتحديد المعنى في مستوى إيديولوجي وسياسي ظفري تواكب في الأغلب فترات التآزر الاجتماعي ويؤدي طغيانها إلى تحجر الجسم الاجتماعي، بينما يؤدي في العادة إلى تحرر المجتمع الذي من التكرار الذي يعمق التفاوت التاريخي وسحلته. وأفضل الحالات هي التي يكون فيها مجال لتفاعل القراءتين وللمقد المتبادل بينهما"(1).

3- محمد عابد الجبري ومعاصرة القرآن

يعترف الجبري بأن الأقدمين طرحوا جميع الأسئلة المتعلقة بالموضوع وناقشوها وقدموا إجابات عنها في تلك المؤلفات الجامعة "حتى ليخل إلى المرء اليوم أنه لم يعد هناك مجال للمزيد"(2). أما المستشرقون الذين يعتمدون منهج المقارنة فهم في نظرة يطرحون أسئلة يرجعها إلى ثقافاتهم الخاصة، وهي أسئلة "قد تثير قضايا جديدة لم تكن من مجال "المفكرين" في الثقافة العربية الإسلامية. ومع أن طرح مثل هذه الأسئلة المتولدة في ثقافة بعيدها على ساحة ثقافة أخرى لم يكن فيها

(1) نفسه ص 111.
(2) مدخل إلى القرآن الكريم، الجزء الأول، في التعرف بالقرآن، محمد عابد الجابري، (مترز دراسات الوحدة العربية، بيروت ط ٢٠٠٦، ص ٢٠).
الانصراللقرآن .. إسهام في التفقيده

ما يدفع إلى طرحها، قد يغبني التفكير داخل هذه الأخيرة، فإنه ينطوي على نوع من ممارسة السلطة عليها، سلطة السائل على المسؤول، مهما كان وضع أحدهما بالنسبة إلى الآخر. ويوضح ذلك بأن "السائل فاعل"، قد لا تخلو أسئلته من إزعاج وإحراج حتى عندما يكون وراءها براءة وحسن نية، كما هو الشأن في أسئلة الأطفال (١).

ورغم إقرار الجابر بالفرق بين وضع الكتاب المقدس وتاريخ تكوينه، وبين وضع القرآن ومساره التكويني، فإن ذلك لم يغنه عن طرح الأسئلة المتعلقة بمسار الكون والتكوين (٢). ويستند هنا إلى اهتمام علماء المسلمين على مر العصور بهذه الأسئلة، خاصة أولئك الذين كتبوا في علوم القرآن.

من هنا، يرى الجابر أن إعادة طرح أسئلة الكون والتكوين، بل تجديد طرحها، هو الكفيل بأن يجعل القرآن معاصرا لنفسه ومعاصرا لنا في الوقت نفسه. لكن، كيف ذلك؟ يبدأ الجابر بتذكير قارئه بالمنهج الذي حذده لنفسه منذ أزيد من ربع قرن (٣)، ويتلخص في جعل المقورو معاصرًا لنفسه ومعاصرا لنا في

١) نفسه ص ٢١.

٢) يوضح الجابر هنا أن أسئلة الكون والتكوين هي غير أسئلة الأصل، لأن الأصل هنالذ وحي، والوحي ينتمي إلى منطقة التسلسل والإيمان وليس إلى ميدان البحث والبرهان (بوضظ المدخل إلى القرآن الكريم، هامش ص ٢٢).

٣) ويحمل هنا إلى مقدمة كتابه نحن والتراث حيث وضح منهجه في التعامل مع الموروث الثقافي.
نفس الوقت. وإذا كان الأمر هنا يتعلق بالقرآن الكريم فإن طريقة تطبيق
منهجه هذا تناقصه، في نظره، في المبدأ الذي نادي به كثير من علماء
الإسلام، مفسرين وغيرهم، وهو أن "القرآن يشرح بعضه بعضا" (1).

ولتطبيق هذا المبدأ يوضح الجابري أنه ينبغي التمييز مثليئجًا بين أمرين:

- النص القرآني كما هو مجموع في المصحف من جهة;
- القرآن كما نزل مفرقًا، أي حسب ترتيب النزول من جهة أخرى (2).

ويضيف ميالًا طريقة عمل المنهج: أن ما كان ينتهي إلى النسبي والتاريخي رجع به إلى ترتيب النزول، وإن كان إلى المطلق بالإزمني
طرحه على مستوى القرآن ككل بوصفه يشرح بعضه بعضاً ويكون الحكم
في "قصد الشارع" وليس الزمن والتاريخ. ويستدرك أن هذا لا يمنع من
اعتماد المستويين معاً حينما تدعو الضرورة إلى ذلك.

إذاً المتحب لهذا الكلام يصدم بنفركة وواحة يحوم حولها الفكر
الحداثي، وهي قضية الإيمان. وهذه القضية تفرع عنها مجموعة من
القضايا هي في الخطورة بمكان. من هنا تنتصب أمام القارئ أسئلة لا
متنائية: ما هو القرآن؟ ولماذا أنزل؟ ما هو الإيمان؟ ما هو الإسلام؟ لماذا
الإيمان؟

إذا كان أركون والشرفي وغيرهما يرون في القراءة اللاهوتية مجرد
تمريخ للإيمان، والإيمان كما نعلم "أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله

(1) مدخل إلى التعرف بالقرآن الكريم، الجابري، ص 28.
(2) نفسه ص 28.

52
الانتصار للقرآن .. إسهام في التفعيد

واليوم الآخر والقدر خيره وشره", فإن هناك سؤالاً يطرح نفسه وبالحاج:
ما الهدف من دراسة القرآن الكريم؟ وهذا ما لا يعثر له القارئ على
جواب.

إن هذه المناهج الحداثية في دراسة القرآن الكريم ليست إلا نماذج
من الدراسات الفكرية المعاصرة لمسلمين. ولا يهم هنا نواعا أصحابها,
بل ما تتركه من آثار في ساحة الفكر الإسلامي. وهنا تبدو الضرورة ملحة
لمناقشة هذه المناهج ونقدها وبيان عواها إثباتاً لرتبة القرآن الكريم
وحفاظاً على عقول أبناء المسلمين. ذلك الحفظ الذي يعتبر مقصداً كبيراً
من مقتضى الشريعة الإسلامية. وهذا ما يرجى أن يقوم له علم الانتصار
للقرآن.
المبحث الثالث
منهج علم الانتصار وأدواته

نبحث في هذا المبحث المنهج الذي يقوم عليه علم الانتصار للقرآن حتى يؤدي وظيفته المرادة، كما نبحث أيضا عن الأدوات التي يمكنها تحقيق مقصده.

١ - منهج علم الانتصار

يفترض بالمنهج "المنطق الذي تحلل به مفاهيم العلم وطريقة تحليلها" (١). ويقوم علم الانتصار أساساً على منهج النقد؛ لأنه يحمل على عاتقه دحض الأطرامات المخالفات ونقدها. وقد كنا بصد الإشارة إلى أن الانتصار للقرآن يهم أساساً بالشهادات المثارة حول القرآن الكريم. وهذا يتطلب نقدها. لكن هذا النقد لا بد له من خطوات يمكن اعتبارها أساسية، وهي: وصف القضية، وтолكيلها، وبعد ذلك تقدها. فماذا يعني الوصف وكيف يتم؟ وماذا يعني التحليل وكيف يكون؟ وما وظيفتهما في النقد؟

أولا: الوصف

يفترض بالوصف "المرحلة الأولى في قيام أي علم، وفيها يقوم العقل البشري بوصف مختلف ظواهر العلم وموضوعاته بهدف تصنيفها في

(١) الدليل إلى منهج البحث العلمي، أحمد سيد (ط ١٤٠٥-١٩٨٥)، ص ١١.
الانتصار للقرآن .. إسهام في التقعيد

مجموعات متشابهة توظف لوضعها موضوع التجرب في المرحلة اللاحقة من تطور العلم. (1) كما أنه "استقراء المواد العلمية التي تقدم إشكالاً ما، أو قضية ما، وعرضها عرضاً مرتباً مرتباً مرتباً مرتباً مرتباً مرتباً مرتباً مرتباً مرتباً مرتباً مرتباً مرتباً مرتباً مرتباً مرتباً مرتباً مرتباً مرتباً مرتباً مرتباً مرتباً مرتباً مرتباً مرتباً مرتباً مرتباً مرتباً مرتباً مرتباً مرتباً مرتباً مرتباً مرتباً مرتباً مرتباً مرتباً مرتباً مرتباً مرتباً مرتباً مرتباً مرتباً مرتباً مرتباً مرتباً مرتباً مرتباً مرتباً مرتباً مرتباً مرتباً مرتباً مرتباً مرتباً مرتباً مرتباً مرتباً مرتباً مرتباً مرتباً مرتباً مرتباً مرتباً مرتباً مرتباً مرتباً مرتباً مرتباً مرتباً مرتباً مرتباً

فأما العرض وما التكشف؟

يعني العرض جمع مادة علمية للإنتاج الفكري المكتوب، سواء كان مخططاً أو مطبوعاً، سواء كان قديماً أو حديثاً. وهو عمل عزوه علماء الإسلام منذ القديم، تحت اسم "الفهرست" أو "الكتاب" أو "البرمجة"، وهو عمل ضروري لكل باحث. وهو خطوة أساسية لدراسة ظاهرة علمية ما. ويمكن أن يتم هذا العرض بسرد المؤلفات على ترتيب محترق معين، مقتصرة على معلومات الكتاب الظاهرة، أو زيادة على ذلك، بذكر المضمون العام للكتاب بشيء من التفصيل، أو في مرحلة ثانية تناول قضية ما تكون موضوع الدراسة. وفي النهاية يختم هذا العمل بتقييم إجمالي للكتاب.

المراحل الاتجاهية لمنهجية الفكر العربي الإسلامي. المنهج في السياق الفقهي الإسلامي، حسن عبد الحميد عبد الرحمن، (حوليات كلية الآداب بالكويت، الحولية: 8، الرسالة، 44)، ص 21-22. (2) أبعاد الابحاث في العلوم الشرعية .. محاولة في التأصيل المنهجي، فريد الأنصاري، (مجلة دار القرآن، سلسلة الحوار 27، البيضاء، ط 1، 1417-1418)، ص 66. 1997

55
أما التكشيف فيعني وضع دليل يتوفر بواسطته إلى مختلف المعلومات المذكورة في كتاب أو أكثر، فيسمى كشافا أو فهرسا. ومن بين أنواع التكشيف المعروفة والمذائدة بعض المعاجم التي تهم بفن من الفنون ومصطلحاته، كمعجم مصطلحات القراءات القرآنية أو معجم مصطلحات أصول الفقه وغير ذلك.

ويتم الوصف في علم الانتصار للقرآن من خلال اتباع الخطوات التالية:

1- تحديد مجال القضية، فمجالات الدراسات القرآنية متعددة، وموضوعاتها متنوعة أيضاً. ويبدو بالباحث في علم الانتصار أن يحدد بدقة المجال الذي تنتهي إليه القضية المراد دراستها، هل هو مجال التراث أم مجال الاستشراق؟ أم مجال الدراسات الفكرية المعاصرة؟ هذا من جهة.

2- صياغة إشكال القضية بوضوح ودقة، وذلك عبر سؤال أو أسلحة.

3- وضع إجابات محتملة للقضية.

4- جمع كل ما يرتبط بال القضية موضوع الدراسة، من قريب أو بعيد.

5- ترتيب المعطيات والمعلومات المتاحة وفق ترتيب منطقي.

ثانيا: التحليل

يعتمد التحليل على "تجميع الحقائق والمعلومات، ثم مقارنتها وتحليلها وتفسيرها للوصول إلى تعميمات مقبولة".1 ويعتبر التفسير جوهر منهج أصول البحث العلمي ومناهجه، أحمد بدر، (وكالة المطبوعات بالكويت، دار القلم، بيروت، ط. 4، 1984)، ص 317-318.
الانصار للقرآن .. إسهام في التفهيم

التحليل في الدراسات الشرعية عموما، والقرآنية خصوصا. وقد يكون التفسير هنا جوهر النقد في علم الانصار؛ لأنه يدلنا عن الأسباب الكامنة وراء القول برأي ما أو غيره.

ويحدد الأنصاري رحمه الله للعملية التفسيرية مستويين:

- مستوى بسيط: ويغني به "شرح القضايا العلمية بتحليل نصوصها وتأويل مشتبهاتها بحمل بعضها على بعض، تقييدا، وإطلاقا، أو تخصيصا، وتعنيما، لضم المؤلف، وفصل المختلف. وإنما يتم ذلك كله بناء على استقراء نصوص الإشكال وإحصائها"(1).

- مستوى مركب: ويقصد به، إضافة إلى ما ذكر في المستوى الأول "تحليل الظواهر، بإرجاع القضايا إلى أصولها، وربط الأراء بأسبابها، وعللها. فإذا كنا في المستوى الأول نبحث في الإشكالات لمعرفة هيأتها وأوضاعها على الحقيقة، فإننا هنأ - بالإضافة إلى ذلك - نبحث فيها لمعرفة مقتضيات تلك الهيئات والأوضاع وأسبابها. وهذا كله زيادة دقيقة في الفهم الصحيح وتمييز للتحليل قصد البلوغ إلى التفسير الجامع الشامل"(2).

ويمكن أن يكون التحليل في علم الانصار للقرآن باتباع الخطوات التالية:

---

(1) أبحاث الدخان في العلوم الإسلامية ص 98.
(2) نفسه.
1- شرح القضية، بشرح المفاهيم المرتبطة بها والغوص في جذورها؛ فإذا كان مثلاً بإزالة قضية خلق القرآن، فإنه يجب علينا البحث عما يعنيه خلق القرآن، وكذلك تاريخ القول به، مع مراعاة الترتيب الزمني.
2- بيان العلاقه بين مختلف الأقوال والمفاهيم المرتبطة بالقضية أيضًا وجدت.
3- إدراك الأسباب الرئيسة وراء القضية، مثلاً: لماذا قال هذا بخلق القرآن؟ وهذه في الغالب ما تكون خفية غير مصريح بها، على الباحث الوصول إليها بقراءاته المتعددة.
4- وهذا أهم ما في التحليل، بيان البنية الحجاجية التي وظفها صاحب القضية للدفاع عنها، ما هي الحجج التي ساهمت صاحب القول بخلق القرآن ليدافع عن رأيه ويدعمه. إن الأسس بالبنية الحجاجية للقضية موضوع الدراسة يعني أن الباحث أشرف على النقد وشرع فيه.

ثالثاً: النقد

إن النقد هو جوهر علم الانتصار للقرآن للكريم، وغايته، ولب مجهه. والحديث عن الانتصار للقرآن يعني نقد كل ما يخالف ربانية القرآن الكريم وقداسته. والمقصود بالنقد "عملية تقويم، وتصحيح وترشيد...

محاكمة إلى قواعد متفق عليها، أو نسق كلي"\(^1\). لذا، فالنقد، وهو جوهر علم الانتصار، ينبغي أن يكون مؤسساً علمياً إن لم يكن ص 99.99

58
ونبينا على قواعد يعرفها أهلها. أما النقد العشوائي المبني على القذف والقد والشتيم فهو غير مقصور عندنا. إن مثل هذا النقد يهدم ولا يبني. بل إن شئت فقل إنه سلاح الضعفاء.

إن الغالبية من النقد ييجاد أرضية للحوار مع المخالف، بغض تصحيح ما يعتقد أنه خاطئ، أو دعوته إلى تبني ما يعتقد أنه صواب وأنه من الدين. وهذه هي دعوة الإسلام.

2- أدوات علم الانتصار للقرآن

ليس لأي كان أن يقوم بالانتصار للقرآن الكريم؛ ذلك أن لكل علم أدواته، ولعلم الانتصار للقرآن أدوات خاصة به، وهي تتنوع بتنوع مجالاته ومواضيعه. وكل هذا حتى يكفي العلم لممارسة المرجوة ويربح مقاصده. وتجد الإشارة إلى أنه من الصعوبة جرئ كل الأدوات التي يحتاج إليها المنتصر للقرآن الكريم لارتباطها بموضوع الدراسة والبحث، ولتعددها. لذا ساكتفي بالإشارة إلى ما يمكن أن يعتبر ضرورياً. كما أن هذه الأدوات الموزعة على المجالات الثلاثة قد تتنافخ فيما بينها حسب طبيعة المهمة والموضوع.

أولاً: في مجال الدراسات التراثية

على من ينتصر للقرآن من التراث ما يلي:

1- لا يتمكن العديد من الدراسات القرآنية التراثية، سواء تتعلق الأمر بالتنويم أو علوم القرآن أو غيرهما. وهنا يمكن أن تكون تخصصات حسب الحاجة.
2- الإحاطة الجيدة بمناهج المحدثين النقدية، وذلك قصد فحص الأخبار وتعميح الروايات; فكم من الروايات تحمل بها كتب التراث وتخالف فداسة القرآن الكريم وربانيته. وقد يكون هذا الأمر هو جوهر علم الانصار للقرآن في مجال التراث.
3- الأمام بالحديث النبوي الشريف إسلامًا يفي بغرض التعرف على قضايا أسباب النزول والقراءات القرآنية وغيرها.
4- الإحاطة الجيدة بالتراث عموماً، كعلم الكلام والفلسفة والتصوف وغير ذلك، حتى يستطيع الباحث نقد الآراء الخاطئة حول القرآن الكريم.

ثانياً: في مجال الدراسات الاستشراقيّة
على الباحث في مجال الدراسات الاستشراقي المنتصر للقرآن الكريم أن يحوز مجموعة من الأدوات أهمها:

1- القدرة على المشاركة في الدراسات الأدبية التي تُكتب بها الدروس القرآني الاستشراقي، وتعتبرها وتعظمها وموضوعاتها من باحثي الدراسات الإسلامية. وهذا يفي بحال محكي يعالو، وموضوعته، وموضوعتها، وموضوعاتها، وموضوعاتها.
2- الإحاطة بتاريخ الدراسات الاستشراقيّة ومجالاتها وموضوعاتها وأعلامها، على العموم، ومجال الدراسات الاستشراقيّة حول القرآن الكريم على الخصوص.
3- فقه مناهج المستشرقين فقهاً يستطيع معه الباحث إدراك ثغراتها.
الانصار للقرآن .. إهتمام في التقعيد

4- الإحاطة بتاريخ الفكر النصراني والحملات التبشيرية.
5- الإلمام بعقائد الديانة النصرانية، وتاريخ الكتب المقدسة وتدوينها وتفسيراتها.

3- مجال الدراسات الفكرية المعاصرة

أما الانصار للقرآن في مجال الدراسات الفكرية المعاصرة فيتقنح

على الباحث ما يلي:

1- التخصص في مجال من مجالات الدراسات القرآنية.
2- الممكن من تاريخ الفكر الإسلامي (علم الكلام، الفلسفة،..)؛ ذلك أن القضايا المطروقة لدى المفكرين الحداثيين شبيهة إلى حد بعيد بقضايا علماء الكلام والفلسفة السابقين.
3- الإحاطة بالفلاسفة الغربية ومناهجها، كالفلسفة العقلانية والفلسفة المادية وغيرهما.
4- فقه ما عرف لدى الغرب بالإصلاح الديني، ذاك الإصلاح الذي كان جوهره نقد الكتاب المقدس (1).
5- الإحاطة بمناهج العلوم الإنسانية حسب ما يتطلب الموضوع.
6- المتابعة المستمرة لإنتاج المفكرين المعاصرين المتمسرين للإسلام والمتخصصين في الدراسات القرآنية.

(1) ينظر مثلا هنا رسالة في اللاهوت والسياسة: باروخ إسبرنزو؛ ترجمة حسن حمدي، تقديم فؤاد زكرياء، (دار التوزيع للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2005، ص 122 وما بعدها.)

66
خاتمة

تتضمن هذه الخاتمة أهم النتائج التي توصل إليها البحث، وكذلك بعض التوصيات:

أولاً: نتائج البحث

1- لقد تبين من خلال هذا البحث أن الانتصار للقرآن الكريم ليس بالشيء الغريب عن الدراسات القرآنية، رغم أنه لم يُسم علماً. وأول ما يمكن الاعتماد عليه في التأصيل لهذا العلم هو القرآن الكريم نفسه. كما أن الانتصار للقرآن كان له نصيب مهم في علم الكلام، حتى إن الباقالي رحمه الله ألف كتاباً في الرد على الطائفتين في القرآن سماه: الانتصار للقرآن.

2- إن واقع الدراسات القرآنية المعاصرة يؤكد الحاجة إلى قيام علم الانتصار للقرآن يكون غايته رد شبهات الدارسين عن القرآن الكريم. فقد كثرت دراساتهم اليوم وتناولت. وهنا يمكن أن نتحدث أيضاً عن الاستشراقة ب∕مختلف توجهاته. كما يمكن أن نتحدث أيضاً عن دراسات المفكرين الحديثين المسلمين حول القرآن وقضاياهم كما لا يمكن أن نغلق، تبعاً لذلك، ما ورثه المسلمون من تراث فكري بحاجة إلى نقد وتمحيص حتى لا يكون تكآء لكل مغرض.

3- يمكن أن نجعل مجالات علم الانتصار للقرآن في ثلاثة مجالات هي: مجال التراث، و مجال الاستشراق، و مجال الدراسات الفكرية الحديثة.

وتجدر الإشارة إلى أن المجالين الأخيرين يأخذان عن المجال الأول.
الانصطار للقرآن .. إسهام في التفهيد

4- إن أسس علم الانصطار للقرآن هو نقد الشبهات والطعن حول القرآن المنافقة لربانيته وقدسيته، لذا فإن منهج علم الانصطار هو المنهج النظري. ولبلغ هذا النقد لابد من خطوتين رئيستين هما الوصف والمجل.

5- بما أن لكل علم أدواته، فإن أدوات علم الانصطار تختلف باختلاف مجال الدراسة. وقد عرض البحث مجموعة من الأدوات المرتبطة بكل مجال من المجالات الثلاثة.

ثانيا: التوصيات

1- ضرورة إعادة النظر في مباحث الدراسات القرآنية، والتأليف فيه بما يتناسب وقدسية القرآن الكريم، واستحضار الشبهات المثارة.

2- تجديد مناهج الدراسات القرآنية، وذلك بتوصير الطالب بالتحديات التي تعترض سبيل الأخذ بالقرآن الكريم، وبالشبهات المثارة حوله، وتمكينه من منهج نظري يعبره على مواجهة العقبات الفكرية والعلمية بخصوص علوم القرآن والعلوم الإسلامية الأخرى التي يثيرها مغرب عصره.

3- مزيد بحث في علم الانصطار للقرآن تأصيلاً وتفعيلًا وتأسيسًا.

4- تأسيس لجنة بحث تعكف على إعداد كتاب مفصل يكون مرجعاً أساساً لعلم الانصطار للقرآن.

63
لائحة المراجع المعتمدة

باللغة العربية:

أبجديات البحث في العلوم الشرعية، محاولة في التأصيل المنهجي، فريد الأنصاري، (منشورات الفرقان، سلسلة الحوار 27، البيضاء، ط1، 1417-1997).

الإفتاق في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق مركز الدراسات القرآنية بمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، (المدينة المنورة، 1422).

الإسلام بين الرسالة والتاريخ، عبد المجيد الشرقي، (دار الطليعة، بيروت، ط1، 2001).

الإسلام والحداثة، عبد المجيد الشرقي، (دار المدار الإسلامي، بيروت، ط1، 2009).

أصول البحث العلمي ومناهجه، أحمد بدر، (وكالة المطبوعات بالكويت، دار القلم، بيروت، ط4، 1984).

الانصار للقرآن، أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم الباقلاني، تحقيق محمد عثمان القضاية، (دار الفتح- عنان، دار ابن حزم- بيروت، ط1، 1422-2001).

باب ذكر المعتزلة من كتاب المنهي والأمل في شرح كتاب المثل والنحل، أحمد بن يحيى المرتضى، تصحيح توما أرنل، (مطبعة دائرة المعارف النظامية، حيدر أباد، الدكن، 1316).
الانتصار للقرآن .. إسهام في التفعيد

تاريخ القرآن، تيودور نولدك، ترجمة جورج نامر، (بيروت، ط 1، 2004).

tاريخ حركة الاستشراق.. الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا حتى بداية القرن العشرين، يوهان فوك، ترجمة عمر لطفي العالم، (دار المدى الإسلامي، لبنان، ط 2، 2001).

التحرير والتنوير، محمد الظاهر بن عاشور، (دار سحنون، تونس).

تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (دار طيبة، 1422-2001).

الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، (دار الفكر، د.ت).

الحقيقة والمنهج..الخطوط الأساسية لتأويلية فلسفي، حسن جورج جادمير، ترجمة حسن ناظم وعلي حاكم صالح، مراجعة جورج كنورة، (دار أوبا، طرابلس، ط 1، 2007).

دراسة سور القرآن وأيه شكلا ومحنوى، ريجيس بلاشير، تعريب محمد المختار العبيدي، (حوليات الجامعة التونسية، العددان 22-24، 1982-1983).

الدليل إلى منهج البحث العلمي، أحمد سيد (ط 1، 2005-2014).

ذوق الحلاوة ببيان امتناع نسخ التلاوة، عبد الله بن الصديق العماري، (جمعية آل البيت للتراث والعلوم الشرعية، فلسطين، 2007).

الرد على المستشرق اليهودي جولت تسيهير في مطاعمه على القراءات القرآنية، محمد حسن جبل (ط 1، 2002-2014).

الرسالة العلمية، عبد السلام ياسين، (مطبوعات الهلال، وجة، 2001).

65
رسالة في اللاهوت والسياسة، باروخ اسبينوزا، ترجمة حسن حنفي،
تقديم فؤاد زكريا، (دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت،
ط 1، 2005).

شذرات الذهب في أخبار من ذهب، أبو الفلاح عبد الحفي بن أحمد بن
محمد ابن العمام العكري الحنبلي، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط
ومحمود الأرناؤوط، (دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط 1، 1406 -
1986).

صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحاجج الكشيري النيسابوري، (بيت
الأفكار الدولية، الرياض، 1419-1418).

فضائل القرآن ومعالمه وآدابه، أبو عبد القاسم بن سلام، تحقيق أحمد
بن عبد الواحد الخياطي، (وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
المغرب، 1415-1416).

القرآن: من التفسير المروث إلى تحليل الخطاب الديني، محمد
أركون، ترجمة هاشم صالح، (دار الطليعة، بيروت، ط 1، 2001).

لبات، عبد المجید الشرفي، (دار الجنوب للنشر، تونس، 1994).

مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، (دار العلم للملايين، بيروت،
ط 16، 1985).

مدخل إلى التعريف بالقرآن الكريم، الجزء الأول، في التعريف بالقرآن،
محمد عابد الجابري، (مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط 1،
2006).

66
الانتصار للقرآن، إسهام في التفعيد

مذهب التفسير الإسلامي، جولد تسيهير، ترجمة عبد الحليم النجار، (دار

المراحل الارتقائية لمنهجية الفكر العربي الإسلامي، المنهج في السياق
العبري الإسلامي، حسن عبد الحميد عبد الرحمن، (حوليات كلية
الآداب بالكويت، الحولية: 8، الرسالة: 44).

مفهوم النص، دراسة في علوم القرآن، نصر حامد أبو زيد، (المركز
الثقافي العربي، البيضاء، 1990).

المقدمة، عبد الرحمن بن خلدون، تحقيق عبد السلام الشدادي، (بيت
الفنون والعلوم والأدب، الدار البيضاء 2005).

المواقف في علم الكلام، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي،
(عالم الكتب، بيروت، د.ت).

الناشخ والمنسوخ، أبو جعفر النحاس، تحقيق سليمان بن إبراهيم بن عبد
الله اللاحام، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. 1، 1412-1991).

باللغة الإنجليزية:

Encyclopaedia of the Qur‏ān, Jane Dammen McAuliffe, (Brill, Leiden,
2001).

The Encyclopaedia of Islam, prepared by a number of Leading

The Historical Development of the Quran Edward Sell, (London, 1898).
باللغة الفرنسية:

Introduction au Coran, Régis Blachère, (Maisonneuve et Larousse, Paris 1977)
